ألف ليلة وليلة



الحمّال والبنات

ألف ليلة وليلة

٣

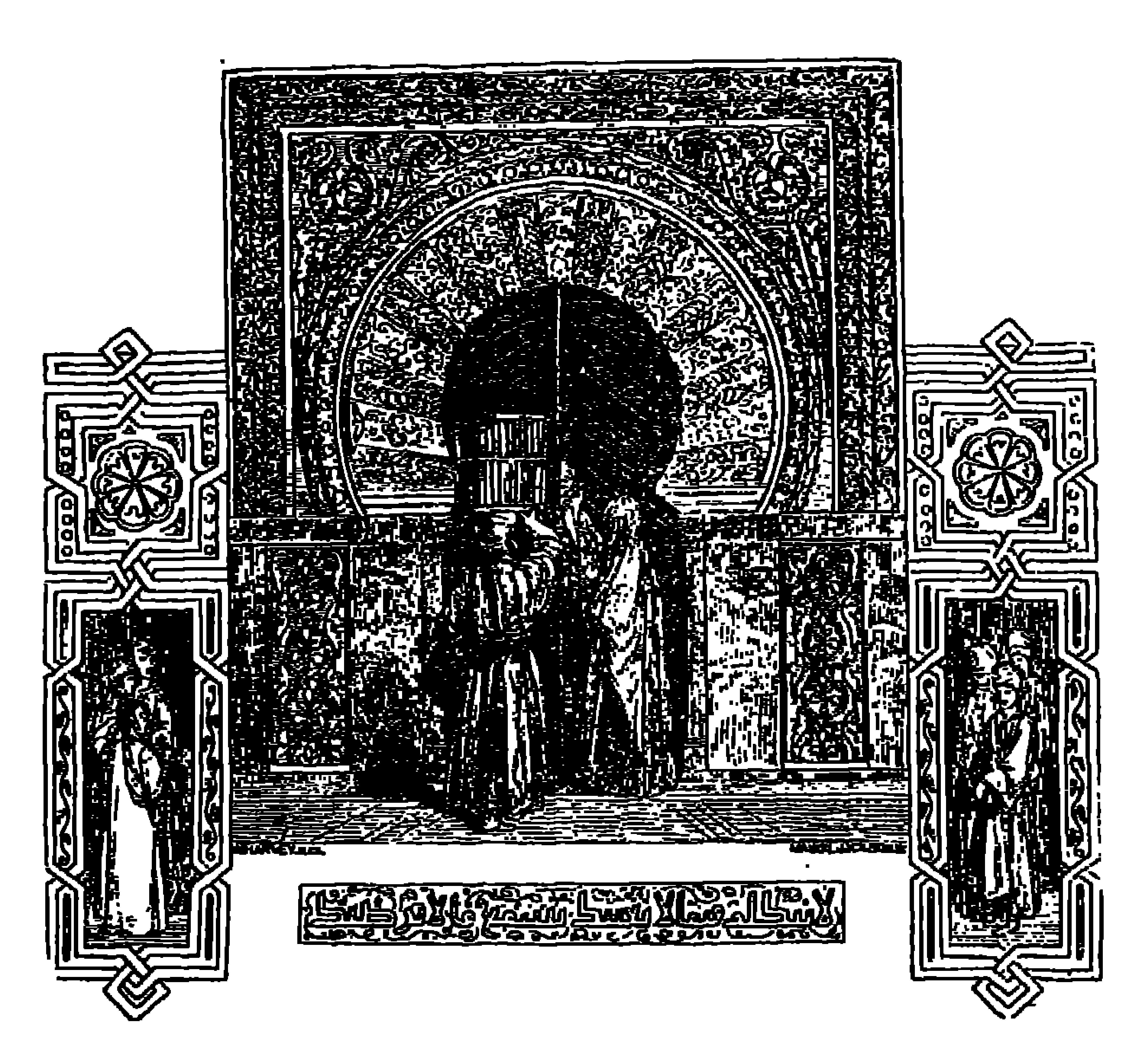
الحمّال والبنات

راجعها

سعيد جوده السحار ، عبد الستار فراج

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي باشا

دار مصر للطباعة
٣٧ (١) شارع كامل صدقي "الفجالة"



الحمال مع البنات

كان هناك إنسان من مدينة بغداد ، وكان حمالا ؛ و بينما هو فى السوق يوما من الأيام متكئا على قفصه ، إذ وقفت عليه امرأة ، ملتفة بإزار موصلى من حرير مزركش بالذهب ، وحاشيتاه من قصب ، فرفعت قناعها فبانت من تحته عيون سوداء ، بأهداب طويلة ، وأجفان ناعسة ، ناعمة الأطراف ، كاملة الأوصاف ؛ و بعد ذلك قالت بحلاوة لفظها :

هات قفصك واتبعنى .

فما صدق الحمال بذلك ، وأخذ القفص وتبعها إلى أن وقفت على باب دار ، فطرقت الباب ، فنزل لها رجل نصرانى ، فأعطته دينارا وأخذت منه مقدارا من الزيتون ، ووضعته فى القفص ، وقالت للحمال : احمله واتبعنى .

فقال الحمال : هذا والله نهار مبارك .

ثم حمل القفص وتبعها ، فوقفت على دكان فاكهانى واشترت منه تفاحا شاميا ، وسفرجلا عثمانيا ، وخوخا عمانيا ، وياسمينا حلبيا ، وأبو فروة دمشقيا ، وخيارا نيليا ، وليمونا مصريا ، وتمرحنا وشقائق النعمان و بنفسجا ، ووضعت الجميع فى قفص الحمال ، وقالت له : احمل .

فحمل ، وتبعها حتى وقفت على جزار ، وقالت له : « اقطع عشرة أرطال لحمة » . فقطع لها ، ولفت اللحم فى ورقة موز ، ووضعته فى القفص ، وقالت له : احمل يا حمال .

فحمل وتبعها ، ثم وقفت على النَّقْلى وأخذت من سائر النَّقل ، وقالت للحمال : « احمل واتبعنى » . فحمل القفص وتبعها إلى أن وقفت على دكان الحلوانى واشترت طبقا وملأته من جميع ما عنده ، من مشبك وقطائف وميمونة وأمشاط وأصابع ولقيمات القاضى ، ووضعت جميع أنواع الحلاوى فى الطبق ، ووضعته فى القفص .

فقال الحمال : لو أعلمتنى لجئت معى ببغل نحمل عليه هذه الأشياء .

فتبسمت ثم وقفت على العطار ، واشترت منه عشرة مياه : ماء ورد وماء زهر وخلافه وغير ذلك ، وأخذت قدرا من السكر ، وأخذت مرش ماء ورد ممسك ، وحصى لبان ذكر ، وعودا وعنبرا ومسكا ، وأخذت شمعا إسكندرانيا ، ووضعت الجميع فى القفص وقالت : احمل قفصك واتبعنى .

فحمل القفص وتبعها به ، إلى أن أتت دارا مليحة ، وقدامها رحبة فسيحة ، وهى عالية البنيان ، مشيدة الأركان ، بابها بشفتين من الأبنوس ، مصنفح بصفائح من الذهب الأحمر ؛ فوقفت الصبية على الباب ودقت دقا لطيفا ، و إذا بالباب قد انفتح بشفتيه ، فنظر الحمال إلى من فتح الباب ، فوجدها صبية رشيقة القد ، قاعدة النهد ، ذات حسن وجمال ، وقدّ واعتدال ، وجبين كغرة الهلال ، وعيون كعيون الغزلان ، وحواجب كهلال رمضان ، وخدود مثل شقائق النعمان ، وفم كخاتم سليمان ، ووجه كالبدر فى الإشراق ، ونهدين كرمانتين باتفاق ، و بطن مطوىّ تحت الثياب ، كطىّ السِّجِلّ للكتاب . فلما نظر الحمال إليها سلبت عقله ، وكاد القفص يقع من فوق رأسه ، ثم قال : ما رأيت عمرى أبرك من هذا النهار .

فقالت الصبية البوابة للدلالة والحمال : « مرحبا » ، وهى من داخل الباب . ومشوا حتى انتهوا إلى قاعة فسيحة ، مزركشة مليحة ، ذات تراكيب وإستارات ، ومصاطب وسدلات ، وخزائن عليها الستور مرخيات ،

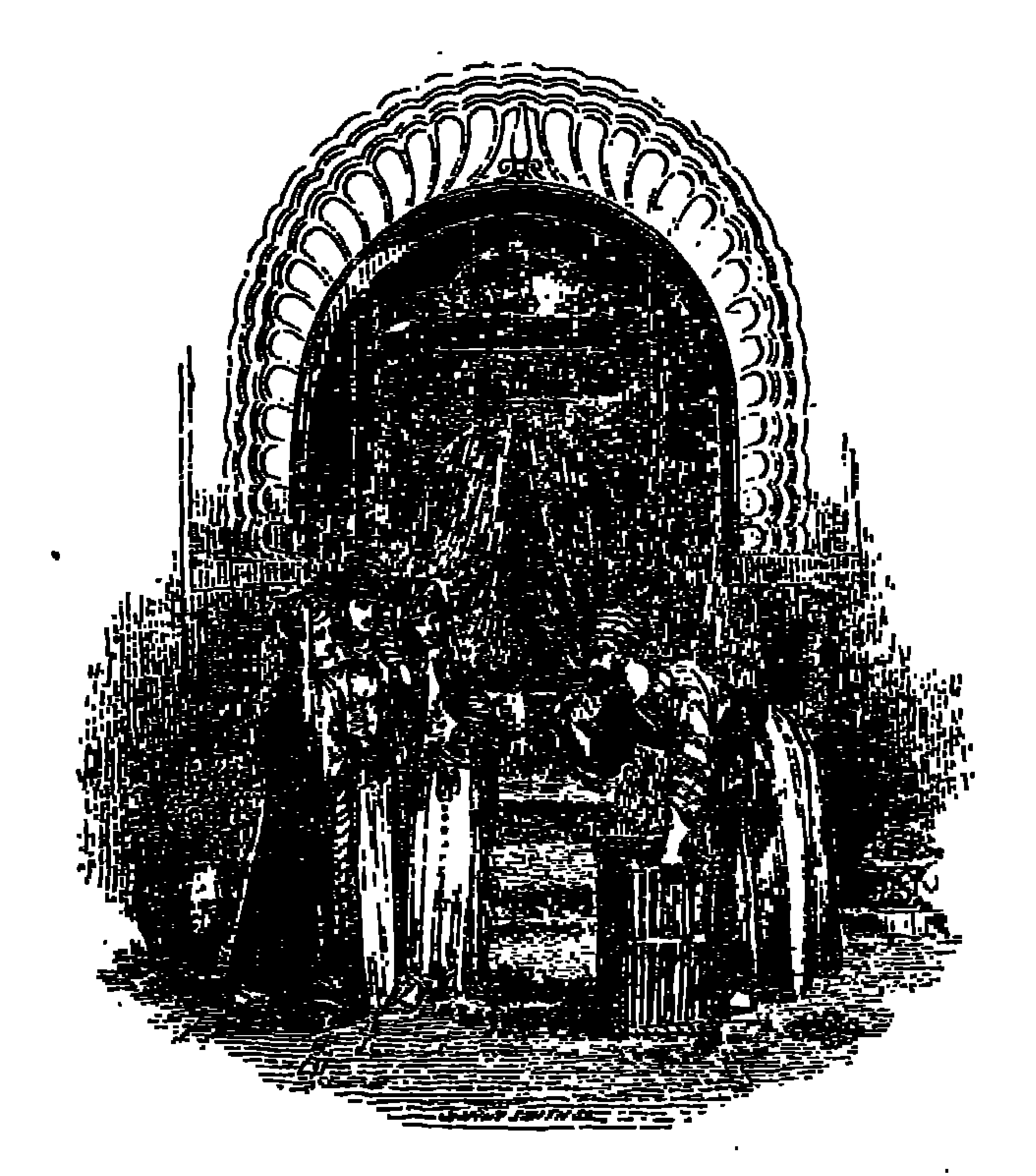
وفى وسط القاعة سرير من المرمر ، مرصع بالدر والجوهر ، منصوب عليه (ناموسية) من الأطلس الأحمر ، ومن داخله صبية ، بعيون بابلية ، وقامة ألفية ، ووجه يخجل الشمس المضيئة ، فكأنها بعض الكواكب الدرية ، أو عقيلة عربية ، كما قال الشاعر :

من قاس قدَّك بالغصن الرطيب فقدْ
أضحى القيــاسُ به زُوراً وبُهتانا
الغُصْن أحسنُ ما نلقاهُ مكتَسِياً
وأنتِ أحسن ما نلقـاك عُريانا

فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير ، وخطرت قليلا إلى أن صارت فى وسط القاعة عند أختيها ، وقالت : ما وقوفكن ؟ حطوا عن رأس هذا الحمال المسكين .

فجاءت الدلالة من قدامه والبوابة من خلفه ، وساعدتهما الثالثة ، وحططن عن الحمال ، وأفرغن ما فى القفص ، وصففن كل شىء فى محله ، وأعطين الحمال دينارين وقلن له : توجه يا حمال .

فنظر إلى البنات وما هن فيه من الحسن والطبائع الحسان ، فلم ير أحسن منهن ، ولكن ليس عندهن رجال ؛ ونظر ما عندهن من الشراب والفواكه والمشمومات وغير ذلك ، فتعجب غاية العجب ، وتوقف عن الخروج .



فقالت له الصبية : مالك لا تروح ؟ هل أنت استقللت الأجرة ؟ والتفتت إلى أختها وقالت لها : أعطيه دينارا آخر .

فقال الحمال : والله يا سيداتى إن أجرتى نِصْفان ، وما استقللت الأجرة ، وإنما اشتغل قلبى وسرّى بكنّ ، وكيف حالكنّ ، وأنتن وحدكن وماعندكن رجال ، ولاأحد يؤانسكن ، وأنتن تعرفن أنالمنارة لا تثبت إلا على أربعة ، وليس لكنّ رابع ، وما يكمل حظ النساء إلا بالرجال ، كما قال الشاعر :

انظر إلى أربع عندى قد اجتمعت   جُنْكٌ وعودٌ وقانونٌ ومزمارُ

أنتن ثلاثة فتفتقرن إلى رابع ، يكون رجلا عاقلا لبيبا حاذقا ، وللأسرار كاتما .

فقلن له : نحن بنات ونخاف أن نودع السر عند من لا يحفظه ، وقد قرأنا فى الأخبار شعرا :

صن عن سواك السر لا تودعُهُ   من أودع السر فقد ضيَّعَهُ

فلما سمع الحمال كلامهن قال : وحياتكن إنى رجل عاقل أمين ، قرأت الكتب واطلعت على التواريخ ، أظهر الجميل وأخفى القبيح ، وأعمل بقول الشاعر :

لا يكتم السر إلا كلّ ذى ثقة   والسر عند خيار الناس مكتومُ

السر عِنْدِىَ فى بيت له غَلَقٌ   ضاعت مفاتيحه والباب مختوم

فلما سمعت البنات الشعر والنظام ، وما أبداه من الكلام ، قلن له : أنت تعلم أننا غرمنا على هذا المقام جملة من المال ، فهل معك شىء تجازينا به ؟ فنحن لا ندعك تجلس عندنا حتى تغرم مبلغا من المال ، لأن ما فى خاطرك هو أن تجلس عندنا ، وتصير نديمنا ، وتطلع على وجوهنا الصباح الملاح .

وقالت صاحبة الدار : وإذا كانت بغير المال محبة ، فلا تساوى وزن حبة .

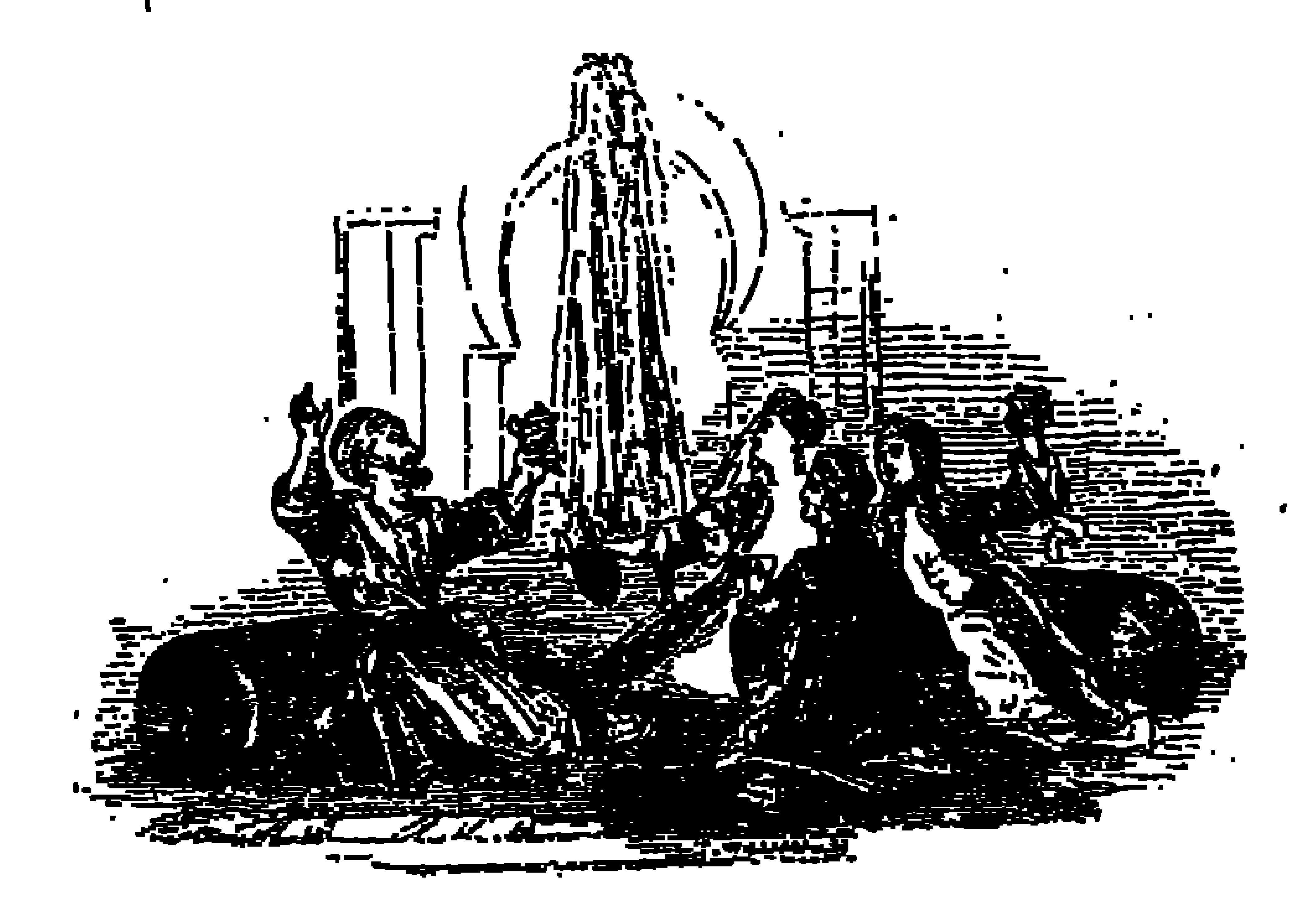
وقالت البوابة : إن لم يكن معك شىء ، فاذهب بلا شىء

فقالت الدلالة : يا أختى نكف عنه ، فوالله ما قصر اليوم معنا ، ولو كان غيره ما طوّل لنا ، ومهما جاء عليه أغرمه عنه .

ففرح الحمال وقال : والله ما استفتحت بالدراهم إلا منك .

فقلن له : اجلس على الرأس والعين .

وقامت الدلالة وشدت وسطها ، وصفت القنانى وروقت المدام ، وهيأت



المجلس على جانب البحيرة ، وأحضرت ما يحتاجون إليه ، ثم قدمت المدام ؛ وجلست هى وأختاها ، وجلس الحمال بينهن وهو يظن أنه فى المنام . ثم قدمت باطية المدام ، وملأت أول قدح وشربته والثانى والثالث ، ثم ملأت وناولت إحدى أختيها ، وكذلك ناولت الأخرى ، ثم ملأت وناولت الحمال ، فأخذ الحمال منها الكأس ، وأنشد هذا الشعر :

اشرب الراح فائزا بالعوافى ۞ إن هذا الشراب للداء شافى

وقال أيضا هذا البيت :

لا يشرب الراح إلا مَنْ به طَرَبٌ　　يكون بالشكر فى أفراحه وافى

و بعد هذا الشعر قبل أيديهن وشرب معهن ، ثم وقف عند صاحبة المحل وقال : يا سيدتى أنا عبدك ومملوكك وخدامك ، وأنشد يقول :

على الباب عبدٌ من عبيدك واقفُ　　بجودك والإحسان والشكر عارفُ

فقالت : اشرب هنيئا وعافية فى مجارى الصحة .

فأخذ الكأس وقبل يديها ، وترنم بقول الشاعر :

ناولتها شبه خديها مشعشعة　　حمراء يحكى سناها ضوء مقباس

فقبلَتْهَا وقالت وهى ضاحكة　　فكيف تسقى خدود الناس للناس .

قلت اشربى فهى من دمعى وحمرتها　　دمى ، ومازجها بالكاس أنفاسى

فأخذت الصبية القدح وشربته ؛ ولا زلن والحمال بينهن فى رقص وغناء ومشمومات ، ولم يزل معهن فى عناق وتقبيل، وهذه تكلمه ، وهذه تجذبه ، وهذه بالمشموم تضربه ، وهو معهن حتى لعبت الخمرة بعقولهم . فلما تحكّم الشراب معهم قامت البوابة وتجردت من ثيابها ، ثم رمت نفسها فى تلك البحيرة ، ولعبت فى الماء ، وأخذت الماء فى فمها وضخّت الحمال ، ثم طلعت من الماء ولبست ثيابها . ثم إنهم أداروا الكاس والطاس ، فقامت الثانية وخلعت ثيابها ، ورمت نفسها فى تلك البحيرة ، وعملت مثل الأولى وطلعت . ثم قامت الثالثة وخلعت ثيابها ، ونزلت تلك البحيرة ، وفعلت مثل من قبلها ، ثم لبست ثيابها . و بعد ساعة

قام الحمال ونزع ثيابه ونزل البحيرة ، ثم طلع ولبس ثيابه وهن يتضاحكن عليه ، وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

١٠

(فلما كانت الليلة العاشرة) قالت لها أختها دنيا زاد : يا أختي تممي لنا حديثك .

قالت : حباً وكرامة . فقد بلغني أيها الملك السعيد أنهن لم يزلن يتضاحكن عليه حتى استلقين على ظهورهن ، ثم عادوا إلى المنادمة .

ولم يزالوا كذلك إلى أن أقبل الليل عليهم ، فقلن للحمال : توجه وأرنا عرض أكتافك .

فقال الحمال : والله خروج الروح أهون من الخروج من عندكن ، دعونا نَصِلِ الليل بالنهار ، وكل منا يروح إلى حاله .

فقالت الدلالة : بحياتي عندكن تدعنه ينام عندنا نضحك عليه ، فإنه خليع ظريف .

فقلن له : تبيت عندنا بشرط أن تدخل تحت الحكم ، ومهما رأيت فلا تسأل عنه ولا عن سببه .

فقال : نعم .

فقلن : قم واقرأ ما على الباب مكتوب .

فقام إلى الباب فوجده مكتوباً عليه بماء الذهب : « لا تتكلم فيما لا يعنيك ، تسمع ما لا يرضيك » .

فقال الحمال : اشهدوا أنى لا أتكلم فيما لا يعنينى .

ثم قامت الدلالة وجهزت لهم مأكولا فأكلوا ، ثم أوقدوا الشمع والعود وقعدوا فى أكل وشرب ، وإذا هم سمعوا دقّ الباب فلم يختلّ نظامهم ، فقامت واحدة منهن إلى الباب ، ثم عادت وقالت : قد كمل



صفاؤنا فى هذه الليلة ، لأنى وجدت بالباب ثلاثة أعجام ذقونهم محلوقة ، وهم عُورٌ بالعين الشمال ، وهـذا من عجائب الاتفاق ، وهم ناس غرباء قد حضروا من أرض الروم ، ولكل واحد منهم شكل وصورة مضحكة ، فإن دخلوا نضحك عليهم .

ولم تزل تتلطف بصاحبتيها حتى قالتا لها : دعيهم يدخلوا ، واشرطى عليهم أن لا يتكلموا فيما لا يعنيهم ، فيسمعوا ما لا يرضيهم .

ففرحت ، وراحت ثم عادت ومعها الثلاثة العور ، ذقونهم محلوقة ، وشواربهم مبرومة ممشوقة ، وهم صعاليك ؛ فسلموا وتأخروا ، فقامت البنات لهم وأقعدنهم ، فنظر الثلاثة الرجال إلى الحمال فوجدوه سكران ؛ فلما عاينوه ظنوا أنه منهم وقالوا : هو صعلوك مثلنا يؤانسنا .

فلما سمع الحمال هذا الـكلام ، قام وقلب عينيه وقال لهم : اقعدوا بلا فضول ، أما قرأتم ما على الباب .

فضـحكت البنات وقال بعضهن لبعض : إننا نضحك على الصعاليك والحمال .

ثم وضعن الأكل للصعاليك فأكلوا ، ثم جلسوا يتنادمون والبوابة تسقيهم .

ولما دار الـكأس بينهم ، قال الحمال للصعاليك : يا إخواننا هل معكم حكاية أو نادرة تسلوننا بها ؟

فدبت فيهم الحرارة ، وطلبوا آلات اللهو ، فأحضرت لهم البوابة دُفا موصليا وعوداً عراقيا وجُنكا أعجميا ، فقام الصعاليك وأخذ واحد

منهم الدفّ،وأخذ واحد العود،وأخذ واحد الجنك ، وضربوا بها وغنت البنات ، وصار لهم صوت عال .



فبينما هم كذلك ، إذا بطارق يطرق البـاب ، فقامت البوابة لتنظر مَنْ بالباب .

وكان السبب فى دق الباب ، أن الخليفة هرون الرشيد نزل فى تلك الليلة لينظر و يسمع ما يتجدد من الأخبار ، هو وجعفر وزيره ومسرور سياف نقمته ؛ وكان من عادته أن يتنكر فى صفة التـجار . فلما نزل تلك الليلة ومشى فى المدينة ، جاءت طريقهم على تلك الدار ، فسمعوا آلات اللهو ، فقال الخليفة لجعفر : إنى أريد أن ندخل هـــذه الدار ، ونشاهد صواحب هذه الأصوات .

فقال جعفر : هؤلاء القوم قد دخل السكر فيهم ونخشى أن يصيبنا منهم شر .

فقال : لابد من دخولنا ، وأريد أن نتحايل حتى ندخل عليهم .

فقال جعفر : سمعا وطاعة .

ثم تقدم جعفر وطرق الباب ، فخرجت البـوابة وفتحت الباب ، فقال لها : يا سيدتى نحن تجار من طبرية ، ولنا فى بغداد عشرة أيام ، ومعنا تجارة ؛ ونحن نازلون فى خان التجار ، وعزم علينا تاجر فى هذه الليلة فدخلنا عنـده ، وقدم لنا طعاما فأكلنا ، ثم تنادمنا عنده ساعة ، ثم أذن لنا بالانصراف ، فخرجنا بالليل ونحن غرباء ، فَتُهْنَا عن الخان الذى نحن فيه ؛ فنرجو من مكارمكم أن تدخلونا هذه الليلة نبيت عندكم ، ولـكم الثواب .

فنظرت البوابة إليهم ، فوجدتهم بهيئة التـجار وعليهم الوقار ، فدخلت لصاحبتيها وشاورتهما ، فقالتا لها : أدخليهم .

فرجعت وفتحت لهم الباب ، فقالوا : ندخل بإذنك ؟

قالت : ادخلوا .

فدخل الخليفة وجعفر ومسرور ، فلما رأتهم البنات قمن لهم وخدمنهم ، وقلن : مرحبا وأهلا وسهلا بأضيافنا ، ولنا عليكم شرط : هو أن لا تتكلموا فيما لا يعنيكم ، فتسمعوا ما لا يرضيكم .

قالوا : نعم .

و بعد ذلك جلسوا للشراب والمنادمة ؛ فنظر الخليفة إلى الثلاثة الصعاليك، فوجدهم عوراً بالعين الشمال ، فتعجب منهم ؛ ونظر إلى البنات وما هن فيه من الحسن والجمال ، فتحير وتعجب . واستمروا في المنادمة والحديث ، وأتين للخليفة بشراب فقال : «أنا حاج» . وانعزل عنهم ، فقامت البوابة وقدمت له سفرة مزركشة، ووضعت عليها باطية من الصيني ، وسكبت فيها ماء الخلاف ووضعت فيه قطعة من الثلج ومزجته بسكر ؛ فشكرها الخليفة ، وقال في نفسه : « لابد أن أجازيها في غد على فعلها من صنيع الخير » .

ثم اشتغلوا بمنادمتهم ، فلما تحكم الشراب قامت صاحبة البيت وخدمتهم ، ثم أخذت بيد الدلالة وقالت : يا أختي قومي نقض ديننا .

فقالت لها : نعم .

فعند ذلك قامت البوابة وأطلعت الصعاليك قدامهن ، وجعلتهم خلف الأبواب ، وذلك بعد أن أخلت وسط القاعة ، ونادين الحمال وقلن له : ما أقلّ مودتك ، ما أنت غريب ، بل أنت من أهل الدار .

فقام الحمال وشدّ وسطه وقال : ما تردن ؟

قلن : قف مكانك .

ثم قامت الدلالة وقالت للحمال : ساعدني .

فرأى كلبتين من الكلاب السود ، في رقبتيهما زناجير ، فأخذهما

الحمال ودخل بهما إلى وسط القاعة . وقامت صاحبة المنزل وشمرت عن معصمها ، وأخذت سوطا وقالت للحمال : قدِّم كلبة منهما .

فجرها فى الزنجير وقدمها ، والكلبة تبكى وتحرك رأسها إلى الصبية ، فنزلت الصبية عليها بالضرب على رأسها ، والكلبة تصرخ ، وما زالت



تضربها حتى كلّت سواعدها ، فرمت السوط من يدها ، ثم ضمت الكلبة إلى صدرها ، ومسحت دموعها وقبلت رأسها ، ثم قالت للحمال : ردّها وهات الثانية .

فجاء بها ، وفعلت بها مثل ما فعلت بالأولى .

فعند ذلك اشتغل قلب الخليفة وضاق صدره ، وغمز جعفراً أن يسألها ، فقال له بالإشارة : اسكت .

ثم التفتت صاحبة البيت للبوابة وقالت لها : قومى لقضاء ماعليك .

قالت : نعم .

ثم إن صاحبة البيت صعدت على سرير من المرمر ، مصفح بالذهب والفضة ، وقالت للبوابة والدلالة : ائتيا بما عندكما .

فأما البوابة فإنها صعدت على السرير بجانبها ، وأما الدلالة فإنها دخلت مخدعا وأخرجت منه كيسا من الأطلس بأهـــداب خضر ، ووقفت قدام الصبية صاحبة المنزل ونفضت الـكيس ، وأخرجت منه عوداً وأصلحت أوتاره ، وأنشدت هذه الأبيات :

ردّوا على جفنىَ النوم الذى سُلبَا   وخبّرونى بعقلى أيةً ذهبـــاَ

علمت لمـا رضيت الحب منزلة   أن المنام على جفنىّ قد غضبا

قالوا : عهدناك من أهل الرشاد فما   أغواك؟ قلت اطلبوا من لحظِهِ السببا

عن دمى المسفوك معتذر   أقول حمّلته فى سفـكه تعبــا

ألقى بمرآة فـكرى شمسَ صورته   فعكسها شَبَّ فى أحشائىَ اللهبا

قد صاغه الله من ماء الحياة وقد   أجرى بقيّتَــه فى ثغره شَــنَبا

ماذا ترى فى محبّ ما ذُكِرْتَ له   إلا شكى أو بكى أو حنّ أو طربا

يرى خيالك فى الماء الزلال إذا   رام الشراب فيروى وهو ما شربا

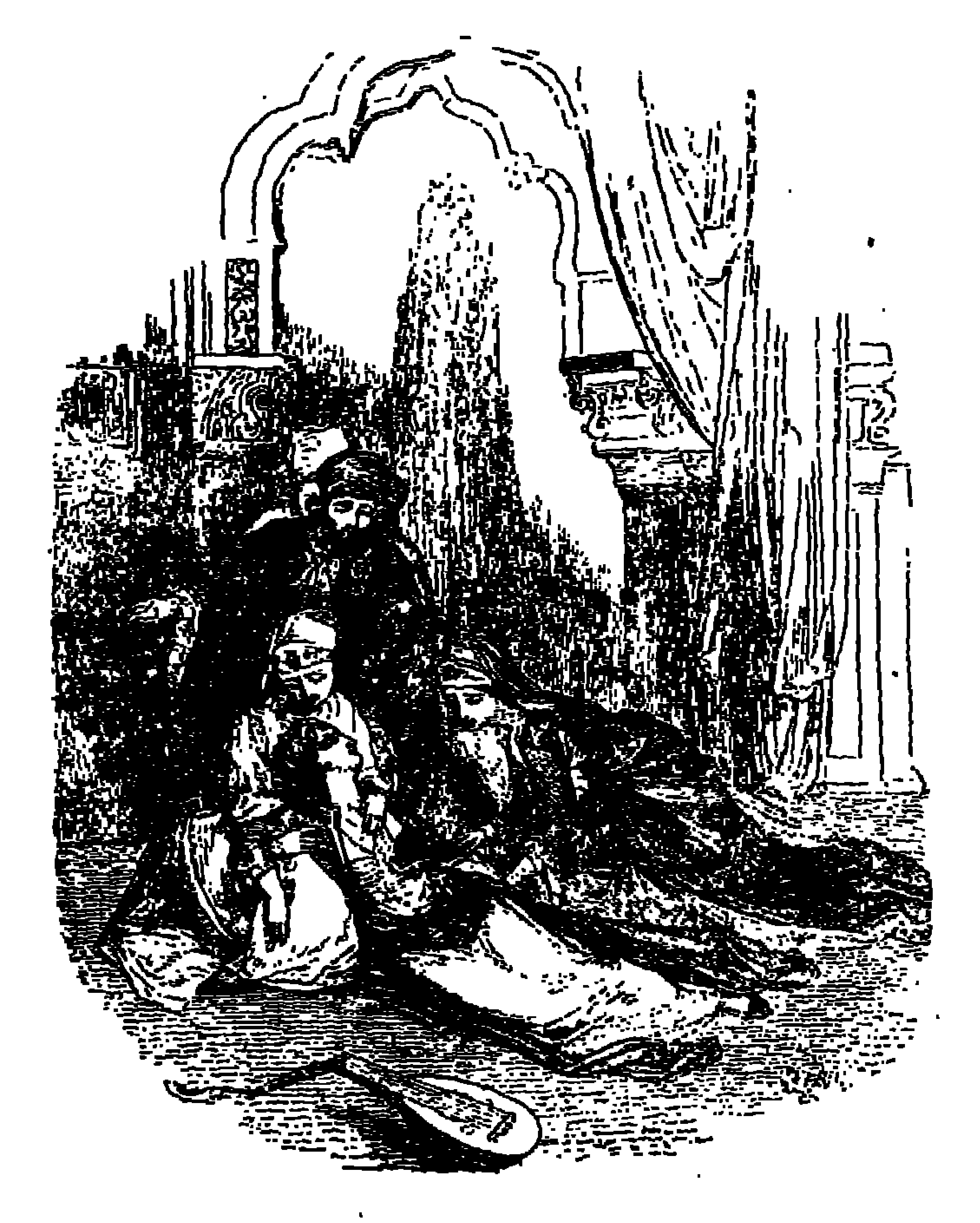
وأنشدت أيضا :

سكرت من لحظه لا من مدامته   ومال بالنــوم عن عينى تمايُلُهُ

فما الســلاف سَلَبْتنى بل سوالفه   وما الشمول شَلَتنى بل شمــائلُهُ

لَوى بعمرىَ أصداغٌ لُوِينَ له   وغالَ عقــلى بمـا تحوى غلائلُهُ

فلما سمعت الصــبية ذلك قالت : طيبك الله . ثم شقت ثيابهـــا ووقعت على الأرض مغشيا عليها . فتعجبوا من ذلك غاية العجب ، فقامت



البوابة ورشت المـاء على وجهها ، وأتت إليها بحلة وألبستها إياها ، فقال الخليفة لجعفر : أما تنظر إلى هذه المرأة ؟ فأنا لا أقدر أن أسكت على هذا ، وما أستريح إلا أن وقفت على حقيقة خبر هذه الصبية ، وحقيقة خبر هاتين الـكلبتين .

فقال جعفر : ياmولانا قد شرطوا علينا شرطا ، وهو أن لا نتكلم فيما لايعنينا ، فنسمع مالا يرضينا .

ثم عادت الدلالة فأخذت العود ، وأسندته إلى نهدها ، وغمزته بأناملها ، وأنشدت تقول :

إن شكونا الهوى فماذا نقولُ ... أو تلفنا شوقا فكيف السبيلُ ؟

أو بعثنا رُسْلًا تترجم عنّا ... ما يؤدى شكوى المحبّ رسول

أو صبرنا فما لنا من بقاء ... بعد فقد الأحباب إلا قليل

ليس إلا تأسفٌ ثم حزنٌ ... ودموعٌ على الخدود تسيل

أيها الغائبون عن لمح عينى ... وهُمُ فى الفؤاد منى حُلول

هل حفظتم لذى الهوى عهدَ صَبّ ... ليس عنه مدى الزمان يَحُول

أم نسيتم على التباعد صبًّا ... شَفَّه فيكمُ الضنى والنُّحول

وإذا الحشر ضمّنا أتمنى ... من لدن ربنا حساباً يطول

فلما سمعت المرأة البوابة شعر الدلالة شقت ثيابها كما فعلت الأولى ، وصرخت ثم ألقت نفسها على الأرض مغشيا عليها ، فلما انكشف جسدها رأى الخليفة عليه أثر ضرب المقارع والسياط ، فقامت الدلالة وألبستها حُلّة ثانية ، بعد أن رشت الماء على وجهها . ثم قامت البوابة وجلست على السرير ثانية وقالت للدلالة : «غنى لى لأفِى دَينى ، فما بقى غير هذا الصوت» ، فأصلحت الدلالة العود ، وأنشدت هذه الأبيات :

فإلى متى هذا الصدود وذا الجفا ... فلقد جرى من أدمعى ما قد كفى

كم قد أطلتَ الهجر لى متعمّداً ... إن كان قصدك حاسدى فقد اشتفى

لو أنصف الدهر الخئون لعاشق ... ما كان يوماً للعواذل منصفا

فلمن أبوح بِصَبْوَتى يا قاتلى ... يا خيبة الشاكى إذا فقد الوفا

ويزيد وجدى فى هواك تلهفا ... فمتى وعدت ولا رأيتك مخلفا

يا مسلمون خــذوا بثأر متيّم ... أَلِفَ السهادَ لديه طَرْفٌ ما غفا

أيحلُّ فى شرع الغرام تذللى ... ويكون غيرى بالوصال مُشَرَّفا

ولقــد كَلِفْتُ بحبّكم متلذذاً ... وغَدَا عذولى فى الهوى مُتَكَلِّفا

فلما سمعت البوابة قصيدتها صرخت وشقت ثيابها ، وألقت نفسها على الأرض مغشيا عليها .

فقال الصعاليك : ليتنا مادخلنا هذه الدار وكنا بتنا على الـكيمان ، فقد تكدر مبيتنا هنا بشىء يقطع الصلب .

فالتفت الخليفة إليهم وقال لهم : لم ذلك ؟

قالوا : قد اشتغل سرنا بهذا الأمر .

فقال الخليفة : أما أنتم من هذا البيت ؟

قالوا : لا . ولا ظننا هذا الموضع إلا للرجل الذى عندكم .

فقال الحمال : والله مارأيت هذا الموضع إلا هذه الليلة ، وليتنى بت على الـكيمان ولم أبت فيه .

فقال الجميع : نحن سبعة رجال وهن ثلاث نسوة ، وليس لهن رابعة فنسألهن عن حالهن ، فإن لم يجبننا طوعا أجبننا كرها .

واتفق الجميع على ذلك ، فقال جعفر : ما هذا رأى سديد ، دعوهن فنحن ضيوف عندهن ، وقد شرطن علينا شرطا فنوفى به ، ولم يبق من الليل إلا القليل ، وكل منا يمضى إلى حال سبيله .

ثم غمز الخليفة وقال : ما بقى غير ساعة ، وفى غد تحضرهن بين يديك ، فتسألهن عن قصتهن .

فأبى الخليفة وقال : لم يبق لى صبر عن خبرهن .

وكثر بينهم القيل والقال ، ثم قالوا : ومن يسألهن ؟

فقال بعضهم : الحمال .

ثم قال لهم النساء : يا جماعة فى أى شىء تتكلمون ؟

فقام الحمال لصاحبة البيت وقال لها : يا سيدتى سألتك بالله وأقسم عليك به أن تخبرينا عن حال الكلبتين ، ولأى سبب تعاقبينهما ثم تعودين فتبكين وتقبلينهما ؟ وأن تخبرينا عن سبب ضرب أختك بالمقارع . وهذا سؤالنا والسلام .

فقالت صاحبة المكان للجماعة : أصحيح ما يقوله عنكم ؟

فقال الجميع : نعم ، إلا جعفر فإنه سكت .

فلما سمعت الصبية كلامهم قالت : والله لقد آذيتمونا يا ضيوفنا الأذية البالغة ، وتقدم أننا شرطنا عليكم أن من تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه ، أما كفى أننا أدخلنا كم منزلنا وأطعمنا كم زادنا ؟ ولكن

لا ذنب عليكم ، إنما الذنب على من أوصلكم إلينا ، ثم شمرت عن معصمها وضربت الأرض ثلاث ضربات وقالت : عجلوا .

وإذا بباب خزانة قد فتح وخرج منه سبعة عبيد وبأيديهم سيوف مسلولة ، وقالت : كتفوا هؤلاء الذين قد كثر كلامهم ، واربطوا بعضهم ببعض .

ففعلوا وقالوا : أيتها المخدَّرة ، ائذنى لنا فى ضرب رقابهم .

فقالت : أمهلوهم ساعة حتى أسألهم عن حالهم قبل ضرب رقابهم .



فقال الحمال : بالله يا سيدتى لا تقتليني بذنب غيرى ، فإن الجميع أخطأوا ودخلوا فى الذنب إلا أنا ، والله لقد كانت ليلتنا طيبة لو سلمنا من

هؤلاء الصعاليك الذين لو دخلوا مدينة عامرة لخربوها ، ثم أنشد يقول :

ما أحسن الغفران من قادرِ لاسيما عن غير ذى ناصرِ
بحرمة الود الذى بيننا لا تقتلى الأول بالآخر

فلما فرغ الحمال من كلامه ضحكت الصبية .

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

١١

(فلما كانت الليلة الحادية عشرة) ، قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية لما ضحكت بعد غيظها أقبلت على الجماعة وقالت : أخبرونى بخبركم فما بقى من عمركم إلا ساعة ، ولولا أنكم أعزاء أو أكابر قومكم أو حكام لعجلت بجزائكم .

فقال الخليفة : ويلك يا جعفر عرفها بنا وإلا قتلتنا .

فقال جعفر : من بعض ما نستحق .

فقال له الخليفة : لا ينبغى الهزل فى وقت الجد ، كل منهما له وقت .

ثم إن الصبية أقبلت على الصعاليك وقالت لهم : هل أنتم إخوة ؟

فقالوا لها : لا والله ما نحن إلا فقراء .

فقالت لواحد منهم : هل أنت ولدت أعور ؟

فقال : لا والله ، إنما جرى لى أمر غريب حين تلفت عينى ،

ولهذا الأمر حكاية لو كتبت بالإبر على آماق البصر ، لـكانت عبرة لمن اعتبر .

فسألت الثانى والثالث ، فقالا لها مثل الأول ، ثم قالوا : إن كل واحد منا من بلد ، وإن حديثنا لعجيب وأمرنا لغريب .

فالتفتت الصبية لهم وقالت : كل واحد منكم يحـكى حكايته ، وما سبب مجيئه إلى مكاننا ، ثم يملُث رأسه ويروح إلى حال سبيله .

فأول من تقدم الحمال فقال : يا سيدتى أنا رجل حمال ، حمّلتنى هذه الدلالة وأتت بى إلى هنا ، وجرى لى معكم ما جرى ، وهذا حديثى والسلام .

فقالت : املُث رأسك ورُحْ .

فقال : والله ما أروح حتى أسمع حديث رفقائى .

فتقدم الصعلوك الأول وقال لها : يا سيدتى إن سبب حلق ذقنى وتلف عينى ، أن والدى كان ملـكا وله أخ ، وكان أخوه ملـكا على مدينة أخرى ، واتفق أن أمى ولدتنى فى اليوم الذى ولد فيه ابن عمى ، ثم مضت سنوات وأعوام وأيام حتى كبرنا ، وكنت أزور عمى فى بعض السنين ، وأقعد عنده أشهرا عديدة ، فزرته مرة فأكرمنى ابن عمى غاية الإكرام ، وذبح لى الأغنام ، وروّق لى المدام ، وجلسنا للشراب ، فلما تحكم الشراب فينا قال ابن عمى : « يا بن عمى إن لى عندك حاجة مهمة ، وأريد أن لا تخالفنى فيما أريد أن أفعله » ، فقلت له : « حبا وكرامة » ،

فاستوثق منى بالأيمان العظام ، ونهض من وقته وساعته ، وغاب قليــلا ثم عاد وخلفه امرأة مزينة مطيبة ، وعليها من الحلى مايساوي مبلغا عظيما ، فالتفت إلىّ ، والمرأةُ خلفه ، وقال : « خذ هذه المرأة واسبقنى إلى الجبانة الفلانية » . ووصفها لى فعرفتها ، وقال : « ادخل بها التربة وانتظرنى هناك» . فلم يمكنى المخالفة ولم أقدر على رد سؤاله لأجل الذى حلفته، فأخذت المرأة وسرت إلى أن دخلت التربة أنا وهى ، فلمـا استقر بنا الجلوس



جاء ابن عمى ومعه طاسة فيها ماء وكيس فيه جبس وقدوم ، ثم إنه أخذ القدوم وجاء إلى قبر فى وسط التربة ففكه ، ونقض أحجاره إلى ناحية التربة ، ثم حفر بالقدوم فى الأرض حتى كشف عن طابق قدر الباب الصغير ، فبان من تحت الطابق سلم معقود ، ثم التفت إلى المرأة بالإشارة وقال لها : «دونك وما تختارين» ، فنزلت المرأة على ذلك السلم، ثم التفت إلىّ وقال : « يابن عمى تمم المعروف ، إذا نزلت أنا فى ذلك الموضع فردّ الطابق ، وردّ عليه التراب كما كان ، وهذا تمام المعروف ، وهذا الجبس الذى فى الكيس ، وهذا الماء الذى فى الطاسة ، اعجن منه الجبس ، وجبّس القبر فى دائرة الأحجار كما كان أولا ، حتى لا يعرفه أحد ، ولا يقول : هذا فتح من جديد وباطنه عتيق ، لأن لى سنة كاملة وأنا أعمل فيه ، وما يعلم به إلا الله ، وهذه حاجتى عندك » ، ثم قال لى : « لا أوحش الله منك يا بن عمى » ، ثم نزل على السلم وغاب عنى ، فقمت ورددت الطابق ، وفعلت ما أمرنى به ، حتى صار القبر كما كان ، ثم رجعت إلى قصر عمى ، وكان عمى فى الصيد والقنص، فنمت تلك الليلة ؛ فلما أصبح الصباح تذكرت الليلة الماضية ، وما جرى فيها بينى و بين ابن عمى ، وندمت على ما فعلت معه حيث لا ينفع الندم .

ثم خرجت إلى المقابر وفتشت على التربة فلم أعرفها ، ولم أزل أفتش حتى أقبل الليل ولم أهتد إليها ، فرجعت إلى القصر ولم آكل ولم أشرب ، وقد اشتغل خاطرى بابن عمى من حيث لا أعلم له حالا ، فاغتممت غمًّا

شديداً ، و بتُّ ليلتى مغموما إلى الصباح ، فجئت ثانية إلى الجبانة وأنا أتفكر فيما فعله ابن عمى ، وندمت على طاعتى له ، وقد فتشت فى الترب جميعها فلم أعرف تلك التربة ، ولازمت التفتيش سبعة أيام فلم أعرف له طريقا ، فزاد بى الوسواس حتى كدت أجن ، فلم أجد فرجا دون أن سافرت ورجعت إلى أبى ، وساعة وصولى إلى مدينة أبى نهض إلىّ جماعة أمام باب المدينة وكتّفونى ، فتعجبت كل العجب ، لأنى ابن سلطان



المدينة ، وهم خدم أبى وغلمانى ، ولحقنى منهم خوف زائد ، فقلت فى نفسى : « يا ترى ماذا جرى لوالدى ؟ » وصرت أسأل الذين كتفونى عن سبب ذلك فلم يردوا علىّ جوابا ، و بعد حين قال لى بعضهم ، وكان خادما عندى : « إن أباك قد غدر به الزمان ، وخانته العساكر ، وقتله الوزير ، ونحن نترقب وقوعك » ، فأخذونى وأنا غائب عن الدنيا بسبب هذه الأخبار التى سمعتها عن أبى ، فلما مثلت بين يدى الوزير الذى قتل

أبى ، وكان بينى و بينه عداوة قديمة ، وسبب تلك العـداوة أنى كنت مولعا بضرب البندق ، فاتفق أن كنت واقفا يوماً من الأيام على سطح قصر ، و إذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير ، وكان واقفا هناك ، فأردت أن أضرب الطير، و إذا بالبندقة قدأخطأت وأصابت عين الوزير، فأتلفتها بالقضاء والقدر ، كما قال الشاعر :

دَعِ الأقدارَ تفعلُ ما تشاء — وطب نفسا بما فعل القضاء
ولا تفرحْ ولا تحزنْ لشىء — فإنَّ الشىء ليس له بقاء

وكما قال الآخر :

مشيناها خُطًا كُتِبَتْ علينا — ومَنْ كُتِبَتْ عليه خُطاً مشاهَا
ومنْ كانتْ مَنِيَّتُهُ بأرضٍ — فليسَ يموتُ فى أرضٍ سِواهَا

ثم قال ذلك الصعلوك : فلما أتلفت عين الوزير لم يقدر أن يتكلم ، لأن والدى كان ملك المدينة ، فهذا سبب العـداوة التى بينى و بينه ، فلما وقفت قدامه مكتفاً أمر بضرب عنقى ، فقلت : « أتقتلنى بغير ذنب ؟ » فقال : «أى ذنب أعظم من هذا ؟» وأشار إلى عينه المتلفة ، فقلت له : « قد فعلت ذلك خطأ » . فقال: «إن كنت فعلته خطأ فأنا أفعله عمداً » .

ثم قال : « قدموه بين يدى » . فقدمونى بين يديه ، فمد أصبعه فى عينى الشمال فأتلفها ، فصرت من ذلك الوقت أعور كما ترونى ، ثم كتفنى ووضعنى فى صندوق ، وقال للسياف : « تسلم هذا وَاشْهَرْ حسامك ، وخذه واذهب به إلى خارج المدينة ، واقتله ودعه للوحوش تأكله » .

فذهب بى السياف وسار حتى خرج من المدينة،وأخرجنى من الصندوق ، وأنا مكتوف اليدين ، مقيد الرجلين ، وأراد أن يغمى عينى و يقتلنى ، فبكيت وأنشدت هذه الأبيات :

جعلتكمو درعا حصينا لتمنعوا ... سهام العدا عنىّ فكنتم نِصَالَهَا
وكنت أرجى عند كل ملمة ... تحصّ(1) يمينى أن تكونوا شِمَالَهَا
دعوا قصّة العذالِ عنىّ بمعزِلٍ ... وخلّوا العِدَا ترمى إلىّ نبالَهَا
إذا لم تقُوا نفسى مكابَدَةَ العِدا ... فكونوا سكوتاً لا عليها ولا لَهَا

وأنشدت أيضا هذه الأبيات :

و إخوان تخِذْتُهُمُ دروعاً ... فكانوها ولكنْ للأعادى
وخلتهمو سهاماً صائباتٍ ... فكانوها ولكنْ فى فؤادى
وقالوا : قد صَفَتْ مِنّاً قلوب ... لقد صدقوا ، ولكن عن ودادى
وقالوا : قد سعينا كلّ سعى ... لقد صدقوا ، ولكنْ فى فسادى

فلما سمع السياف شعرى ، وكان سياف أبى ، ولى عليه إحسان قال : « ياسيدى كيف أفعل وأنا عبد مأمور ؟ » ثم قال لى : « فز بعمرك ولا تعد إلى هذه الأرض فتهلك وتهلكنى معك ، كما قال الشاعر :

ونفسَك فُزْ بها إن خفتَ ضيماً ... وخلِّ الدار تنعَى مَنْ بناها
فإنك واجدٌ أرضاً بأرض ... ونفسك لم تجد نفساً سواها

---

(1) تحص : تقطع .

عجبتُ لمن يعيش بدار ذلٍّ ... وأرضُ الله واسعةٌ فَلَاها
ومنْ كانت منيّتُه بأرض ... فليس يموت فى أرض سواها
وما غلظت رقاب الأسد حتى ... بأنفسها تولت ما عَنَاها

فلما قال لى ذلك قبلت يديه ، وما صدقت بالنجاة حتى فررت ، وهان علىّ تلف عينى بنجاتى من القتل ، وسافرت حتى وصلت إلى مدينة عمى فدخلت وأعلمته بما جرى لوالدى ، و بما جرى لى من تلف عينى ، فبكى بكاءاً شديداً وقال : « لقد زدتنى همًّا على همّى وغمًّا على غمى ، فإن ابن عمك قد فقد منذ أيام ، ولم أعلم بما جرى له ، ولم يخبرنى أحد بخبره » ، و بكى حتى أغمى عليه ، فلما أفاق قال : « يا ولدى ، قد حزنت على ابن عمك حزناً شديداً ، وأنت زدتنى بما حصل لك ولأبيك غماً على غمى ، لكن يا ولدى ، بعينك ولا بروحك » . ثم إنه لم يمكنى السكوت عن ابن عمى الذى هو ولده ، فأعلمته بالذى جرى له كله ، ففرح عمى بماقلته له فرحاً شديداً عند سماع خبر ابنه وقال : «أرنى التربة» ، فقلت : « والله يا عمى لم أعرف مكانها ، لأنى رجعت بعد ذلك مرات لأفتش عليها فلم أعرف مكانها » ، ثم ذهبت أنا وعمى إلى الجبانة ونظرت يمينا وشمالا فعرفتها ، ففرحت أنا وعمى فرحاً شديداً ، ودخلت أنا و إياه التربة ، وأزحنا التراب ، ورفعنا الطابق ، ونزلت أنا وعمى مقدار خمسين درجة ، فلما وصلنا إلى آخر السلم إذا بدخان طلع علينا فغشّى أبصارنا ، فقال عمى الكلمة التى لايخاف قائلها وهى : « لا حول ولا قوة إلا بالله

العلى العظيم » ، ثم مشينا ، و إذا نحن بقاعة ممتلئة دقيقا وحبوبا ومأكولات وغير ذلك ، ورأينا فى وسط القاعة ستارة مسبلة على سرير ، فنظر عمى إلى السرير فوجد ابنه هو والمرأة التى قد نزلت معه صارا فحما أسود ، وهما متعانقان ، كأنهما ألقيا فى جُبّ نار ، فلما نظر عمى ذلك بصق فى وجهه وقال : « تستحق ياخبيث ، فهذا عذاب الدنيا و بقى عذاب الآخرة وهو أشد وأبقى » ، وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

١٢

(فلما كانت الليلة الثانية عشرة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية ، والجماعة والخليفة وجعفر يستمعون الكلام : ثم إن عمى ضرب ولده بالنعال وهو راقد كالفحم الأسود ، فتعجبت من ضربه ، وحزنت على ابن عمى حيث صار هو والصبية فحما أسود ، ثم قلت : « بالله ياعمى خفف الهم عن قلبك ، فقد اشتغل سرى وخاطرى بما قد جرى لولدك ، وكيف صارَ هو والصبية فحما أسود ! أما يكفيك ما هو فيه حتى تضربه بالنعال ؟ » فقال : « يا بن أخى إن ولدى هذا كان من صغره مولعاً بحب أخته ، وكنت أنهاه عنها وأقول فى نفسى : « إنهما صغيران » ، فلما كبرا وقع بينهما القبيح ، وسمعت بذلك ولم أصدق ، ولكنى زجرته زجراً بليغا ، وقلت له : « احذر من هذه الفعال القبيحة التى لم يفعلها أحد قبلك ولا يفعلها أحد بعدك ، و إلا تُقرّن بين الملوك

بالعار والنقصان إلى الممات ، وتشيع أخبارنا مع الركبان ، و إياك أن تصدر منك هذه الفعـــال ، فإنى أسخط عليك وأقتلك ، ثم حجبته عنها وحجبتها عنه ، وكانت الخبيثة تحبه محبة عظيمة ، وقد تمـكن الشيطان منهما . فلما رآنى حجبته عمل هذا المـكان الذى تحت الأرض خفية ، ونقل فيه المأكول كما تراه ، واستغفلنى لمـا خرجت إلى الصيد وأتى هذا المـكان ، فغار عليه وعليهـا الحقّ سبحانه وتعالى وأحرقهما ، وَلَعذَابُ الآخرة أشدُّ وأبقى » . ثم بكى و بكيت معه وقال لى : « أنت ولدى عوضا عنه » . ثم إنى تفـكرت ساعة فى الدنيا وحوادثها ، من قتل الوزير لوالدى ، وأخذه مكانه ، وتلف عينى ، وما جرى لابن عمى من الحوادث الغريبة ، فبكيت ، ثم إننا صعدنا وردنا الطابق والتراب وجعلنا القبر كما كان ، ثم رجعنا إلى منزلنا . فلم يستقر بنا الجلوس حتى سمعنا دقّ طبول و بوقات ، وكرّت الأبطال ، وامتلأت الدنيا بالعجاج والغبار من حوافر الخيل ، فحارت عقولنا ولم نعرف الخبر ، فسأل الملك عن الخبر فقيل : « إن وزير أخيك قتله ، وجمع العساكر والجنود ، وجاء بعسكره ليهجموا على المدينة على غفلة ، وأهل المدينة لم تـكن لهم طاقة به فسلّموا إليه » ، فقلت فى نفسى : « متى وقعت أنا فى يده قتلنى » . وتراكمت علىّ الأحزان ، وتذكرت الحوادث التى حدثت لأبى وأمى ، ولم أعرف كيف العمل ، فإن ظهرت عرفنى أهل المدينـة وعساكر أبى فيسعوا فى قتلى وهلاكى ، فلم أجد شيئا أنجو به إلا حلق ذقنى فحلقتها ، وغيرت

ثيابى وخرجت من المدينة ، وقصدت هذه المدينة ، لعلّ أحداً يوصلنى إلى أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، حتى أحكى له قصتى وماجرى لى؛ فوصلت إلى هذه المدينة فى هذه الليلة ، فوقفت حائرا ولم أدر أين أمضى ، و إذا بهذا الصعلوك واقف فسلمت عليه ، وقلت له : «أنا غريب» . فقال: «وأنا غريب أيضا» . فبينما نحن كذلك ، و إذا برفيقنا هـذا الثالث جاءنا وسلم علينا ، وقال : «أنا غريب» . فقلنا له : «ونحن غريبان» . فمشينا وقد هجم علينا الظلام ، فساقنا القدر إليكم ، وهذا سبب حلق ذقنى وتلف عينى .

فقالت الصبية : املُسْ رأسك وَرُحْ .

فقال لها : لا أروح حتى أسمع خبر غيرى .

فتعجبوا من حديثه ، فقال الخليفة لجعفر: والله ما رأيت مثل الذى جرى لهذا الصعلوك .

ثم تقدم الصعلوك الثانى وقبل الأرض وقال : يا سيدتى أنا ما ولدت أعور ، و إنما لى حكاية عجيبة ، لو كتبت بالإبر على آماق البصر ، لكانت عبرة لمن اعتبر . فأنا ملكٌ ابن ملك ، وقرأت القرآن على سبع روايات، وقرأت الكتب على أربابها . من مشايخ العلم ، وقرأت علم النجوم وكلام الشعراء ، واجتهدت فى سائر العلوم حتى فقت أهل زمانى ، فعظم حظى عند سائر الكتبة ، وشاع ذكرى فى سائر الأقاليم والبلدان ، وشاع خبرى عند سائر الملوك . فسمع بى ملك الهند فأرسل يطلبنى من أبى،

وأرسل إليه هدايا وتحفاً تصلح للملوك ، فجهزنى أبى فى ست مراكب ، وسرنا فى البحر مدة شهر كامل ، حتى وصلنا إلى البر ، وأخرجنا خيلا كانت معنا فى المركب ، وحملنا عشرة أحمال هدايا ، ومشينا قليلا ، وإذا بغبار قد علا وثار ، حتى سد الأقطار ، واستمر ساعة من النهار ، ثم انكشف فبان من تحته ستون فارساً ، وهم ليوث عوابس ، فتأملناهم وإذا هم عرب قطاع طريق ، فلما رأونا ونحن نفر قليل ، ومعنا عشرة أحمال هدايا لملك الهند، هجموا علينا وأشرعوا الرماح بين أيديهم نحونا ، فأشرنا إليهم بالأصابع ، وقلنا لهم : « نحن رسل إلى ملك الهند المعظم فلا تؤذونا » . فقالوا : « نحن لسنا فى أرضه ولا تحت حكمه » . ثم إنهم قتلوا بعض الغلمان وهرب الباقون ، وهربت أنا بعد أن جرحت جرحا بليغا ، واشْتَغَلَتْ عنَّا العربُ بالمال والهدايا التى كانت معنا ، فصرت لا أدرى أين أذهب ، وكنت عزيزا فصرت ذليلا ، وسرت إلى أن أتيت رأس الجبل ، فدخلت مغارة حتى طلع النهار ، ثم سرت منها حتى وصلت إلى مدينة عامرة بالخير ، قد ولى عنها الشتاء ببرده ، وأقبل عليها الربيع بورده ، ففرحت بوصولى إليها ، وقد تعبت من المشى ، وعلانى الهم والاصفرار ، فتغيرت حالى ، ولا أدرى أين أسلك ، فملت إلى خياط فى دكان وسلمت عليه ، فرد علىّ السلام ، ورحب بى وباسطنى ، وسألنى عن سبب غربتى ، فأخبرته بما جرى لى من أوله إلى آخره ، فاغتم لأجلى وقال : « يا فتى لا تظهر ما عندك ، فإنى أخاف عليك من ملك هذه المدينة لأنه أكبر أعداء أبيك، وله عنده ثأر » . ثم أحضر لى مأكولا ومشروبا ،

فأكلت وأكل معى وتحادثت معه إلى الليل ، وأخلى لى محلا إلى جانب حانوته ، وأتانى بما أحتاج إليه من فراش وغطاء ، فأقمت عنده ثلاثة أيام ، ثم قال لى: «أما تعرف صنعة تكتسب بها؟» فقلت له : «إنى فقيه طالب علم كاتب حاسب» . فقال : «إن صنعتك فى بلادنا كاسدة ، وليس فى مدينتنا من يعرف علما ولا كتابة غيرَ المال» . فقلت : «والله لا أدرى شيئا غير الذى ذكرته لك» . فقال : «شدّ وسطك ، وخذ فأساً وحبلا ،



واحتطب فى البرية حطبا تتقوت به إلى أن يفرج الله عنك ، ولا تعرِّفْ أحدا بنفسك فيقتلوك » ، ثم اشترى لى فأسا وحبلا ، وأرسلنى مع بعض الحطابين ، ووصَّاهم بى ، فخرجت معهم واحتطبت ، فأتيت بحمل على رأسى فبعته بنصف دينار ، فأكلت ببعضه وأبقيت بعضه ، ودمت على هذا الحال مدة سنة ، ثم بعد السنة ذهبت يوما على عادتى إلى البرية لأحتطب منها ، ودخلتها فوجدت فيها خميلة أشجار ، وفيها حطب كثير ، فدخلت الخميلة ، وأتيت شجرة



وحفرت حولها ، وأزلت التراب عن جذورها ، فاصطكت الفأس في حلقة نحاس ؛ فنظفت التراب ، وإذا هي في طابق من خشب ، فكشفته ، فبان من تحته سُلَّم ، فنزلت إلى أسفل السلم ، فرأيت باباً فدخلته ، فرأيت قصراً محكم البنيان ، فوجدت فيه صبية ، كالدرة السنية ، تنفي عن القلب كل هم وغم و بلية ، فلما نظرت إليها سجدت لخالقها لما أبدع فيها من الحسن والجمال ، فنظرت إليّ وقالت لي : « أنت إنسي أم جني ؟ » فقلت لها : « إنسي » . فقالت : « ومن أوصلك إلى هذا المكان ، الذي لي فيه خمس وعشرون سنة ما رأيت فيه إنسيا أبدا ؟ » فلما سمعت كلامها وجدت له عذوبة ، وقلت لها : «ياسيدتي أوصلني الله إلى منزلك ، ولعله يزيل همي وغمي » . وحكيت لها ماجرى لي من الأول إلى الآخر ، فصعُب عليها حالي ، و بكت وقالت : « أنا الأخرى أعلمك بقصتي ، فاعلم أني بنت ملك أقصى الهند صاحب جزيرة الآبنوس ، وكان قد زوجني بابن عمي ، فاختطفني ليلة زفافي عفريت اسمه جرجريس بن رجموس بن إبليس ، فطار بي إلى هذا المكان ، ونقل فيه كل ماأحتاج إليه من الحلي والحلل والقماش والمتاع والطعام والشراب ، وكل عشرة أيام يجيئني مرة فيبيت هنا ليلة ، وعاهدني إذا عرضت لي حاجة ليلا أو نهاراً أن ألمس بيدي هذين السطرين المكتوبين على القبة ، فما أرفع يدي حتى أراه عندي ، ومنذ كان عندي له اليوم أربعة أيام ، وبقي له ستة أيام حتى يأتي ، فهل لك أن تقيم عندي خمسة أيام ثم تنصرف قبل

مجيئه بيوم ؟ » فقلت : « نعم » . ففرحت، ثم نهضت على أقدامها وأخذت بيدى ، وأدخلتنى من باب مقنطر ، وانتهت بى إلى حمام لطيف ظريف ، فلما رأيته خلعت ثيابى وخلعت ثيابها ، ودخلت فجلست على حشية وأجلستنى معها ، وأتت بسكر ممسك وسقتنى ، ثم قدمت لى مأكولا فأكلنا وتحادثنا ، ثم قالت لى : « نم واسترح فإنك تَعِبٌ » ، فنمت — يا سيدتى — وقد نسيت ما جرى لى وشكرتها ، فلما استيقظت وجدتها تكبس رجلى ، فدعوت لها وجلسنا نتحادث ساعة ، ثم قالت : « والله إنى كنت ضيقة الصدر وأنا تحت الأرض وحدى ، لم أجد من يحدثنى خمساً وعشرين سنة ، فالحمد لله الذى أرسلك إلىّ ثم أنشدت :

لو علمنا مجيئكم لفرشنا مهجة القلب أو سواد العيونِ

وفرشنا خدودنا والتقينا ليكون المسير فوق الجفون

فلما سمعت شعرها شكرتها ، وقد تمكنت محبتها فى قلبى ، وذهب عنى همى وغمى ، ثم جلسنا فى منادمة إلى الليل ، فبت معها ليلة ما رأيت مثلها فى عمرى ، وأصبحنا مسرورين ، فقلت لها : « هل أطلعك من تحت الأرض وأريحك من هذا الجنى ؟ » فضحكت وقالت : « اقنع واسكت ، ففى كل عشرة أيام ، يوم للعفريت وتسعة لك » ، فقلت وقد غلب علىّ الغرام : « فأنا فى هذه الساعة أكسر هذه القبة التى عليها النقش المكتوب، لعل العفريت يجىء حتى أقتله، فإنى موعود بقتل العفاريت » . فلما سمعت كلامى أنشدت تقول :

يا طالبـــا للفراق مهلاً بحيـــلة قد كفى اشتياق
اصـــبر فطبع الزمان غدر وآخر الصـــحبة الفراق

فلما سمعت شعرها لم ألتفت لـكلامها، بل رفست القبة رفساً قوياً .
وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الـكلام المباح .

١٣

(فلما كانت الليلة الثالثة عشرة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك الثانى قال للصبية : يا سيدتى لما رفست القبة رفسا قوياً ، قالت لى المرأة : « إن العفريت قد وصل إلينا ، أما حذرتك من هذا ؟ والله لقد آذيتنى ، ولـكن انج بنفسك ، واطلع من المكان الذى جئت منه » ، فمن شدة خوفى نسيت نعلى وفأسى ، فلما طلعت درجتين التفت



لأنظرهما ، فرأيت الأرض قد انشقت وطلع منها عفريت ذو منظر بشع ، وقال: «ماهذه الزعجة التي أرعشتني بها ؟ فما مصيبتك» ؟ فقالت: «ماأصابني شيء غير أن صدري قد ضاق ، فأردت أن أشرب شراباً يشرح صدري ، فنهضت لأقضي أشغالي فوقعت على القبة» ، فقال لها العفريت : «تكذبين يا فاجرة» ، ونظر في القصر يمينا وشمالا ، فرأى النعل والفأس ، فقال لها : «ما هذا إلاّ متاع الإنس ، من جاء إليك ؟» فقالت: «ما نظرتهما إلا في هذه الساعة ، ولعلهما تعلقا معك» . فقال العفريت : «هذا كلام محال لا ينطلي عليّ يا عاهرة» . ثم إنه عرّاها وصلبها بين أربعة أوتاد ، وجعل يعاقبها ويقررها بما كان ، فلم يهن عليّ أن أسمع بكاءها ، فطلعت من السلم مذعوراً من الخوف ، فلما وصلت إلى أعلى الموضع رددت الطابق كما كان ، وسترته بالتراب ، وندمت على مافعلت غاية الندم . وتذكرت الصبية وحسنها وكيف يعاقبها هذا الملعون ، وهي لها معه خمس وعشرون سنة ، وما عاقبها إلا بسببي ، وتذكرت أبي ومملكته ، وكيف صرت حطّابا ، فقلت هذا البيت :

إذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة فيوماً ترى يسراً ويوماً ترى عسرا

ثم مشيت إلى أن أتيت رفيقي الخياط ، فلقيته من أجلي على مقالي النار ، وهو لي في الانتظار ، فقال : «إني بتّ البارحة وقلبي عندك ، وخفت عليك من وحش أو غيره ، فالحمد لله على سلامتك» . فشكرته على شفقته عليّ ، ودخلت خلوتي وجعلت أتفكر فيما جرى لي ، وألوم

نفسى على رفسى هذه القبة.، و إذا بصديقى الخيّاط دخل علىّ وقال لى :
« فى الدكان شخص أعجمى يطلبك ، ومعه فأسك ونعلك ، قد جاء بهما
إلى الخياطين وقال لهم : إنى خرجت وقت أذان المؤذن لأجل صلاة
الفجر فعثرت بهما ، ولم أعلم لمن هما ، فدلّونى على صاحبهما ، فدلّه الخيّاطون
عليك ، وها هو ذا قاعد فى دكانى ، فاخرج إليه واشكره ، وخذ فأسك
ونعلك » . فلما سمعت هذا الـكلام اصفر لونى وتغير حالى ، فبينما أنا
كذلك ، إذا بأرض محلّى قد انشقت ، وطلع منها الأعجمى ، و إذا هو



العفريت ، وقد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقر له بشي ، فأخذ الفأس والنعل وقال لها : إن كنت جرجريس من ذرية إبليس ، فأنا أجيء بصاحب هذه الفأس والنعل ، ثم جاء بهذه الحيلة إلى الخياطين ، ودخل عليّ ولم يمهلني ، بل اختطفني وطار وعلا بي ونزل بي وغاص في الأرض وأنا لا أعلم بنفسي ، ثم طلع بي القصر الذي كنت فيه ، فرأيت الصبية عريانة ، والدم يسيل من جوانبها ، فقطرت عيناي بالدموع ، فأخذها العفريت وقال لها : « يا عاهرة هذا عشيقك . فنظرت إليّ وقالت له : « لا أعرفه ، ولا رأيته إلا في هذه الساعة » . فقال لها العفريت: «هذه العقوبة ولم تقري؟» فقالت : «ما رأيته عمري،وما يحل لي أن أكذب عليه » ، فقال لها العفريت: «إن كنت لا تعرفينه فخذي هذا السيف واضربي عنقه » . فأخذت السيف وجاءتني ووقفت على رأسي ، فأشرت لها بحاجبي ، ودمعي يجري على وجنتي ، فنهضت وغمزتني وقالت : « أنت الذي فعلت بنا هذا كله » ، فأشرت لها : إن هذا وقت العفو :

يترجم طرفي عن لساني لتعلموا ... ويبدو لكم ما كان صدري يكتم

ولما التقينا والدموع سواجم ... خرست وطرفي بالهوى يتكلم

تشير لنا عما تقول بطرفها ... وأومى إليها بالبنان فتفهم

حواجبنا تقضي الحوائج بيننا ... فنحن سكوت والهوى يتكلم

فلما فهمت الصبية إشارتي رمت السيف — يا سيدتي — فناولني العفريت السيف وقال لي: «اضرب عنقها وأنا أطلقك ولا أنكد عليك» ،

فقلت : « نعم » وأخذتُ السيف وتقدمتُ بنشاط ورفعتُ يدى ، فقالت لى بحاجبها : «أنا ماقصرت فى حقك» ، فهطلت عيناى بالدموع ،ورميت السيف من يدى وقلت : « أيها العفريت الشديد ، والبطل الصنديد ، إذا كانت امرأة ناقصة عقل ودين لم تستحلّ ضرب عنقى ، فكيف يحل لى أن أضرب عنقها ، ولم أرها عمرى ؟ فلا أفعل ذلك أبداً ، ولو سقيت من الموت كاس الردى » . فقال العفريت : « أنتما بينكما مودة » . وأخذ السيف وضرب يد الصبية فقطعها ، ثم ضرب الثانية فقطعها ، ثم قطع رجلها اليمنى ، ثم قطع رجلها اليسرى ، حتى قطع أرباعها بأربع ضربات ، وأنا أنظر بعينى ، فأيقنت بالموت ، ثم أشارت إلىّ بعينها ، فرآها العفريت فقال لها : « قد زنيت بعينك » . ثم ضربها فقطع رأسها ، والتفت إلىّ وقال : « يا إنسى ، نحن فى شرعنا إذا زنت الزوجة يحل لنا قتلها ، وهذه الصبية اختطفتها ليلة عرسها ، وهى بنت اثنتى عشرة سنة ، ولم تعرف أحداً غيرى ، وكنت أجيئها كل عشرة أيام ليلة واحدة ، فى زِىّ رجل أعجمى ، فلما تحققت أنها خانتنى قتلتها ، وأما أنت فلم أتحقق أنك خنتنى فيها ، ولكن لابد أنى ما أخليّك فى عافية ، فتمنّ علىّ أىّ ضرر » . ففرحت — يا سيدتى — غاية الفرح ، وطمعت فى العفريت ، وقلت له : « وما أتمناه عليك ؟ » قال : « تمنّ علىّ أىّ صورة أسحرك فيها ، إما صورة كلب ، وإما صورة حمار ، وإما صورة قرد » . فقلت له ، وقد طمعت أنه يعفو عنى : « والله إن

عفوت عنى يعفُ الله عنك بعفوك عن رجل مسلم لم يؤذك » . وتضرعت إليه غاية التضرع ، وتذللت بين يديه وقلت له : « أنا مظلوم ، فاعف عنى كما عفا الحسود عن حاسده » . فقال : « وكيف كان ذلك ؟ » .



الحاسد والمحسود

فقلت : « اعلم — يا سيدى — أنه كان لرجل جار يحسده ويؤذيه ، وكلما زاد الحسود حسدا وضررا ، زاد الله المحسود نعمة وخيرا ؛ واستمرت الحال على ذلك مدة طويلة ؛ فلما وجد المحسود أن جاره لا يقلع عن حسده ، انتقل إلى مكان به بئر مهجورة ، وهناك بنى لنفسه

محرابا وشغل نفسه بعبادة الله . والتف حوله نُسَّاك كثيرون ، ونال تقديرا عظيما ، وهرع إليه الناس من كل صوب يلتمسون بركاته ودعواته . و بلغت أخباره مسامع جاره الحسود ، فركب جواده وذهب لزيارته ؛ فعندما رآه المحسود سلم عليه ورحب به أجمل ترحيب ، عندئذ قال له الحسود : « إنما جئت لأعلمك بأمر تستفيد منه وتنال عليه الأجر من الله » . فأجاب المحسود : « جازاك الله عنى خير الجزاء » . فقال الحسود : » قل للنُّسَّاك إذن أن يعودوا إلى صوامعهم لأنى لا أريد أن يسمع أحد ما سأقصه عليك » . فأمرهم أن يدخلوا صوامعهم . ثم قال



له الحسود : « قم بنا لنمشى معا ونتحدث » . فمشيا حتى وصلا إلى البئر المهجورة ، فدفع الحسودُ المحسودَ فى البئر ، فسقط فيها دون أن يراه إنسان . وسار الحسود فى طريقه معتقدا أنه قتله .

ولكن هذه البئر كانت عامرة بالجن ، فتلقوه دون أن يصيبه ضرر ، وأجلسوه على حجر كبير ، ثم قال واحد منهم للآخرين : « أتعرفون هذا الرجل ؟ » فقالوا : « إننا لا نعرفه » . فقال : « هذا هو المحسود الذى هرب من حاسده ، وأقام فى هذه الناحية فى المحراب المجاور لنا يؤنسنا بتلاوته وعبادته ، وعند ما سمع به حاسده جاء إليه ودبّر له مكيدة وألقاه هنا ، وقد بلغت شهرته الليلة ملك هذه المدينة ، وعزم أن يزوره غدا بسبب ما أصاب ابنته » . فقالوا : « وما الذى حدث لابنته ؟ » قال : أصابها الجنون ، لأن ميمون بن دمدم قد أحبها حبا عظيما ، وشفاؤها من أسهل الأمور » . فسألوه : « وما هو ؟ » فقال : « إن القطة السوداء ، التى مع هذا المحسود فى محرابه ، فى طرف ذيلها بقعة بيضاء فى حجم الدرهم ، فمن هذه البقعة تؤخذ سبع شعرات ، وبهذه الشعرات تبخر الفتاة ، فينصرف المارد عنها ولا يعود إليها ، وبذلك تشفى فى الحال » .

والآن من واجبنا أن نخرج هذا الشيخ .

وعند ما أقبل الصباح ، رأى النساكُ الشيخ المحسود يخرج من البئر ، فعظم فى أعينهم ، وحينما دخل الصومعة أخذ من البقعة البيضاء

التى فى طرف ذيل القطة سبع شعرات ، ووضعها فى كيسه ، وعند شروق الشمس جاء إليه الملك ، فلما رآه الشيخ قال : « أيها الملك ، إنك قدمت إلىّ لكى أشفى ابنتك » . فقال الملك: « نعم أيها الشيخ المبارك » . حينئذ قال الشيخ : « ابعث من يحضرها إلىّ هنا ، و إنى واثق أن الله تبارك وتعالى يشفيها فى الحال » .

وعندما حضرت بنت الملك، رآها الشيخ مقيّدة ، فأجلسها وأسدل عليها ستارة ، وأخرج الشعرات وبخّرها بها . فصرخ المارد الذى يتخبّطها وتركها ، فعادت الفتاة إلى رشدها فى التوّ واللحظة ، فغطت وجهها وقالت لأبيها : « ما هذا ؟ ولماذا أحضرتمونى إلى هذا المكان؟» فقال لها والدها : « لا بأس عليك » . وسُرّ بشفائها سرورا عظيما ، وقبّل يد المحسود ، وقال لكبراء مملكته الذين كانوا معه : « بأى شىء أكافئ الشيخ على ما فعله ؟ » فقالوا: « كافئه بتزويجه ابنتك التى شفاها الله على يديه » . فقال الملك: « لقد قلتم الحق » . ثم إنه زوجه إياها، وبهذا صار الشيخ صهرًا للملك، و بعد مدة مات الملك فنصبوا الشيخ ملكا مكانه . وفى ذات يوم كان هذا الملك المحسود راكبا مع عسكره ، فرأى حاسده يقترب منه ، وعندما وصل إليه أركبه جوادا ، واحتفى به وأكرمه، ثم أخذه إلى قصره وأعطاه ألف دينار ، وخلع عليه ثوبا نفيسا، ثم أرسله الى بلده مع جنود يحرسونه ، حتى يصل الى بيته سالما ، ولم يؤنبه على شىء مما فعله من قبل .

فتدبر أيها العفريت عفو المحسود عن الحسود و إحسانه إليه ، برغم ما ألحقه به من الضرر .

فقال لى العفريت : « لا تطلْ على الـكلام ، أما القتل فلا تخف منه ، وأما العفو عنك فلا تطمع فيه ، وأما سحرك فلابد منه » . ثم شق الأرض



وطار بى إلى الجو ، حتى نظرت إلى الدنيا تحتى كأنها قصعة ماء ، ثم حطّنى على جبل ، وأخذ قليلا من التراب ، وهمهم عليه وتكلم ورشّنى وقال : «اخرج من هذه الصورة إلى صورة قرد» . فمن ذلك الوقت صرت قرداً ابن مائة سنة ، فلما رأيت نفسى فى هذه الصورة القبيحة بكيت على نفسى ، وصبرت على جور الزمان ، وعلمت أن الزمان ليس لأحد ، وانحدرت من أعلى الجبل إلى أسفله ، وسافرت مدة شهر ، ثم ذهبت إلى شاطىء البحر المالح ، فوقفت ساعة ، و إذا أنا بمركب فى وسط البحر قد طاب ريحها ، وهى قاصدة البر ، فاختفيت خلف صخرة على جانب البحر ، وحينما دنت المركب من الشاطىء قفزت إلى وسطها ، فقال واحد منهم : «أخرجوا هذا المشئوم من المركب » . وقال واحد منهم : « نقتله بهذا السيف » . فأمسكت طرف السيف و بكيت ، وسالت دموعى ، فحنّ علىّ الريس وقال لهم : «ياتجار ، إن هذا القرد استجار بى وقد أجرته ، وهو فى جوارى ، فلا أحد يعرض له ، ولا يشوش عليه » . ثم إن الريس صار يحسن إلىّ ، ومهما تكلم بشىء أفهمه ، وأقضى حوائجه كلها ، وأخدمه فى المركب ، وقد طاب لها الريح مدة خمسين يوما ، فرسونا على مدينة عظيمة ، وفيها عالم كثير لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ، فساعة وصولنا أوقفنا مركبنا ، فجاءتنا مماليك من طرف ملك المدينة ، فنزلوا المركب وهنئوا التجار بالسلامة ، وقالوا : « إن ملكنا يهنئكم بالسلامة ، وقد أرسل إليكم هذا الدَّرْجَ الورق ، وقال : كل واحد يكتب فيه

سطراً » . فقمت وأنا فى صورة القرد ، وخطفت الدرج من أيديهم ، فخافوا أن أقطعه وأرميه فى الماء ، فنهرونى وأرادوا قتلى ، فأشرت لهم أنى أكتب ، فقال لهم الريِّس : «دعوه يكتب ، فإن خلط فى الكتابة طردناه عنا ، وإن أحسنها اتخذته ولداً ، فإنى ما رأيت قردا أفهم منه » . ثم أخذت القلم واستمددت من الدواة ، وكتبت سطراً بقلم الرقاع ورقمت هذا الشعر :

لقد كتب الدهر فضل الكرامِ ... وفضلك للآن لا يحسبُ
فلا أيتمَ الله منك الورى ... لأنك للفضل نِعْمَ الأبُ

وكتبت بالقلم الريحانى هذا الشعر :

له قلم عمّ الأقاليم نفعه ... لتوقيعه للعالمين بنافعِ
وخمسة أنهار أنامله التى ... تسيل على الأقطار خمس أصابع

وكتبت بقلم الثلث هذين البيتين :

وما من كاتب إلا سيفنى ... ويَبقَى الدهرَ ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطّك غير شىء ... يسرّك فى القيامة أن تراه

وكتبت تحته بقلم المشق هذين البيتين :

إذا فتحت دواة العزّ والنعمِ ... فاجعل مدادك من جود ومن كرمِ
واكتب بخير إذا ما كنت مقتدراً ... بذاك تشرف فضلا نسبة القلم

ثم ناولتهم ذلك الدَّرْجَ الورق فطلعوا به إلى الملك ، فلما تأمل الملك ما فى ذلك الدرج لم يعجبه خط أحد إلا خطى ، فقال لأصحابه :

« توجهوا إلى صاحب هذا الخطّ ، وألبسوه هذه الحلة ، وأركبوه بغلة ، وهاتوه بالنَّوْبة ، وأحضروه بين يدىّ » . فلما سمعوا كلام الملك تبسموا ، فغضب منهم ثم قال : « كيف آمركم بأمر فتضحكوا منه ؟ » فقالوا : « أيها الملك ، ما نضحك من كلامك ، بل الذى كتب هـذا الخطّ قرد ، وليس هو آدمياً ، وهو مع الريِّس » . فتعجب الملك من كلامهم، واهتز من الطرب وقال : « أريد أن أشترى هذا القرد » .

ثم بعث رسـلا إلى المركب ، ومعهم البغلة والحلة ، وقال : « لا بد أن تلبسوه هذه الحلة ، وتركبوه البغلة وتأتوا به » .

فساروا إلى المركب وأخذونى من الريس ، وألبسونى الحلة ، فاندهش الخلائق وصاروا يتفرّجون علىّ ، فلما طلعوا بى إلى الملك ورأيته قبلت الأرض بين يديه ثلاث مرات ، فأمرنى بالجلوس فجلست على ركبتىّ ، فتعجب الحاضرون من أدبى ، وكان الملك أكثرهم تعجبا ، ثم إن الملك أمر الخلق بالانصراف فانصرفوا ولم يبق إلا الملك والطَّواشىّ ومملوك صغير وأنا ، ثم أمر الملك بطعام فقدموا سفرة طعام ، فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين ، فأشار إلىّ الملكُ أنْ كُلْ ، فقمت وقبلت الأرض بين يديه سبع مرات ، وجلست آكل معه ، وحينما ارتفعت السفرة ، وذهبت فغسلت يدى وعدت ، أخذت الدواة والقلم والقرطاس وكتبت هذين البيتين :

أناجر الضـأن ترياق من العلل وأصحن الحلو فيها منتهى أملى

يا لهف قلبي على مدّ السِّماط إذا ماجَتْ كنافته بالسمن والعسل

وكتبت أيضا هذين البيتين :

إليك اشتياقى يا كنـافة زائد وليس غنًى لى عنك كلاّ ولا صبْرُ

فلا زلت أكلى كلّ يوم وليـلة ولا زال منهـلاً بجرعائِك القَطر

ثم قمت وجلست بعيداً ، فنظر الملك إلى ما كتبته وقرأه وتعجب وقال : « هل يكون عند قرد هذه الفصاحة وهذا الخط ؟ والله إن هذا من أعجب العجب ». ثم قُدِّمَ للملك شطرنج فقـال لى الملك : «أتلعب ؟» فقلت برأسى : نعم . فتقدمت وصففت الشطرنج ولعبت معه مرتين فغلبته ، فحار عقل الملك وقال : « لو كان هذا آدمياً لفاق أهل زمانه » . ثم قال لخادمه : « اذهب إلى سيدتك وقل لها : إن الملك يدعوك إليه ، حتى



تجيء فتتفرجَ على هذا القرد العجيب». فذهب الطواشيّ وعاد ومعه سيدته بنت الملك ، فلما نظرت إليّ غطت وجهها وقالت : « يا أبي كيف طاب لك أن ترسل إليّ فيراني الرجال الأجانب ؟ » فقال : « يا بنتي ما عندي سوى المملوك الصغير ، والطواشيّ الذي رباك ، وهذا القرد ، وأنا أبوك ، فممن تغطين وجهك؟ » فقالت : «إن هذا القرد ابن ملك واسم أبيه أيمار صاحب جزائر الأبنوس الداخلة ، وهو مسحور سحره العفريت جرجريس الذي هو من ذرية إبليس . وقد قتل زوجته بنت ملك أقناموس، وهذا الذي تزعم أنه قرد ، إنما هو رجل عالم عاقل » . فتعجب الملك من ابنته ونظر إليّ وقال : «أحق ما تقول عنك ؟» فقلت برأسي : نعم . و بكيت ، فقال الملك لبنته : « من أين عرفت أنه مسحور ؟ »

فقالت : « يا أبت كان عندي وأنا صغيرة عجوز ماكرة ساحرة ، علمتني صناعة السحر ، وقد حفظته وأتقنته ، وعرفت مائة وسبعين باباً من أبوابه ، أقل باب منها أنقل به حجارة مدينتك خلف جبل قاف ، وأجعلها لجة بحر ، وأجعل أهلها سمكا في وسطه » .

فقال أبوها : «أقسمت بحق اسم الله عليك أن تخلّصي لنا هذا الشاب حتى أجعله وزيري ، وهل فيك هذه الفضيلة ولم أعلم ؟ فخلّصيه حتى أجعله وزيري، لأنه شاب ظريف لبيب » . فقالت له : « حبًا وكرامة» . ثم أخذت بيدها سكينا وعملت دائرة .

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

١٤

(فلما كانت الليلة الرابعة عشرة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية : « يا سيدتى ، ثم إن بنت الملك أخذت بيدها سكينا مكتوبا عليها أسماء عبرانية ، وخطت بها دائرة فى الوسط ، وكتبت فيها أسماء وطلاسم وعزمت بكلام ، وقرأت كلاماً لا يفهم ، فبعد ساعة أظلمت علينا جهات القصر حتى ظننا أن الدنيا قد انطبقت علينا ، وإذا بالعفريت قد تدلى علينا فى أقبح صفة ، بأيدٍ كالمدارى ، ورجلين كالصوارى ، وعينين كمشعلين يوقدان ناراً . ففزعنا منه ، فقالت بنت الملك : « لا أهلا بك ولا سهلا » . فقال العفريت ، وهو فى صورته البشعة : « يا خائنة ، كيف خنت اليمين ؟ أما تحالفنا على أنه لا يتعرض أحدنا للآخر ؟ » فقالت له : « يا لعين ومن أين لك يمين؟ » فقال العفريت: « خذى ماجاءك » . ثم انقلب أسداً وفتح فاه وهجم على الصبية ، فأسرعت وأخذت شعرة من شعرها بيدها وهمهمت بشفتيها فصارت الشعرة سيفا ماضيا ، وضربت ذلك الأسد فشقته نصفين . فصارت رأسه عقربا ، وانقلبت الصبية حية عظيمة ، وهجمت على هذا اللعين وهو فى صفة عقرب ، فتقاتلا قتالا شديداً ، ثم انقلب العقرب عُقاباً ، فانقلبت الحية نسراً وطارت وراء العقاب ، واستمرا ساعة زمانية . ثم انقلب العقاب قطاً أسود ، فانقلبت الصبية ذئباً ، فتشاحنا فى القصر ساعة زمانية ، وتقاتلا



قتالا شديداً ، فرأى القط نفسه مغلوباً ، فانقلب وصار رمانة حمراء كبيرة ، ووقعت تلك الرمانة فى بركة ، فقصدها الذئب فارتفعت فى الهواء ، ووقعت على بلاط القصر فانكسرت وانتثر الحبّ كل حبّة وحدها ، وامتلأت أرض القصر حبًّا ، فانقلب ذلك الذئب ديكا لأجل أن يلتقط ذلك الحب ، حتى لايترك منه حبة ، فبالأمر المقدر توارت حبة فى جانب الفسقية ، فصار الديك يصيح ، و يرفرف بأجنحته ، و يشير إلينا بمنقاره ، ونحن لا نفهم مايقول ، ثم صرخ علينا صرخة تخيل لنا منها أن

القصر قد انقلب علينا ، ودار فى أرض القصر كلها ، حتى رأى الحبة التى توارت فى جانب الفسقية ، فانقض عليها ليلتقطها ، وإذا بالحبة سقطت فى الماء ، فانقلب الديك حوتاً كبيراً ، ونزل خلفها وغاب ساعة ، وإذا بنا قد سمعنا صراخا عالياً فارتجفنا ، فبعد ذلك طلع العفريت وهو شعلة نار ، فألقى من فمه ناراً ، ومن عينيه ومنخريه ناراً ودخانا ، وانقلبت الصبية لجة نار ، فأردنا أن نغطس فى ذلك الماء خوفاً على أنفسنا من الحريق والهلاك ، فما نشعر إلا والعفريت قد صرخ من تحت النيران ، وصار عندنا فى الإيوان ، ونفخ فى وجوهنا بالنار ، فلحقته الصبية ونفخت فى وجهه بالنار أيضا ، فأصابنا الشرر منها ومنه ، فأما شررها فلم يؤذنا، وأما شرره فلحقتنى منه شرارة فى عينى فأتلفتها ، وأنا فى صورة القرد ، ولحق الملك شرارة منه فى وجهه فأحرقت نصفه التحتانى بذقنه وحنكه ، ووقعت أسنانه التحتانية ، ووقعت شرارة فى صدر الطواشى فاحترق ومات من وقته وساعته ، فأيقنا بالهلاك ، وقطعنا رجاءنا من الحياة ، فبينما نحن كذلك إذا بقائل يقول: «الله أكبر ، الله أكبر، قد فتح ربى ونصر ، وخذل من كفر ، بدين محمد سيد البشر».

وإذا بالقائل بنت الملك قد أحضرت العفريت ، فنظرنا إليه فرأيناه قد صار كوم رماد ، ثم جاءت الصبية إلينا وقالت: «الحقونى بطاسة». فجاءوا بها إليها ، فتكلمت عليها بكلام لا نفهمه ، ثم رشتنى بالماء وقالت: «اخلص



بحق الحق ، و بحق اسم الله الأعظم إلى صورتك الأولى » . فصرت بشراً كما كنت أولا ، ولكن تلفت عيني ؛ فقالت الصبية : « النارَ النارَ ياوالدى » . ثم إنها لم تزل تستغيث من النار ، و إذا بشرر أسود قد طلع إلى صدرها ، وطلع الى وجهها ، فلما وصل الى وجهها بكت وقالت : « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » . ثم نظرنا اليها فرأيناها كوم رماد بجانب كوم العفريت ، فجزعنا عليها ، وتمنيت لو كنت مكانها ،

ولا أرى ذلك الوجه المليح الذى عمل فىّ هذا المعروفَ يصير رماداً ، لـكن حكم الله لا يرد ، فلما رأى الملك ابنته صارت كوم رماد ، نتف بقية لحيته ، ولطم على وجهه ، وشق ثيابه، وفعلت كما فعل، و بكينا عليها . ثم جاء الحجاب وأرباب الدولة فوجدوا السلطان فى حالة العدم وعنده كوم رماد ، فتعجبوا وداروا حول الملك ساعة ، فلما أفاق أخبرهم بما جرى لابنته مع العفريت ، فعظمت مصيبتهم ، وصرخ النساء والجوارى، وعملوا العزاء سبعة أيام . ثم إن الملك أمر أن يبنى على رماد ابنته قبة عظيمة ، وأوقد فيها الشموع والقناديل، وأما رماد العفريت فإنهم أذروه فى الهواء إلى لعنة الله . ثم مرض السلطان مرضا أشرف منه على الموت ، واستمر مرضه شهراً وعادت إليه العافية ، فطلبنى وقال لى : « يا فتى ، قد قضينا زماننا فى أهنأ عيش آمنين من نوائب الزمان حتى جئتنا ، فأقبلتْ علينا الأكدار ، فليتنا ما رأيناك ، ولا رأينا طلعتك القبيحة التى بسببها صرنا فى حالة عدم ، فأولا عدمت ابنتى التى كانت تساوى مائة رجل ، وثانيا جرى لى من الحريق ما جرى ، وعدمت أضراسى ، ومات خادمى ؛ ولـكن ما بيدك حيلة ، بل جرى قضاء الله علينا وعليك ، والحمد لله حيث خلصتك ابنتى وأهلكت نفسها ، فاخرج يا ولدى من بلدى ، وكفى ما جرى بسببك ، وكل ذلك مقدر علينا وعليك ، فاخرج بسلام » .

فخرجت يا سيدتى من عنده وما صدقت بالنجاة ، ولا أدرى أين أتوجه ، وخطر على قلبى ما جرى لى ، وكيف خلونى فى الطريق سالماً منهم. ومشيت شهراً ، وتذكرت دخولى فى المدينة غريبا ، واجتماعى بالخياط ، واجتماعى بالصبية تحت الأرض ، وخلاصى من العفريت بعد أن كان عازماً على قتلى ، وتذكرت ما حصل لى من المبدأ إلى المنتهى ، فحمدت الله وقلت : « بعينى ولا بروحى » . ودخلت الحمام قبل أن أخرج من المدينة ، وحلقت ذقنى ، وصرت يا سيدتى فى كل يوم أبكى وأتفكر فى المصائب التى كانت عاقبتها تلف عينى ، وكلما تذكرت ما جرى لى أبكى وأنشد هذه الأبيات :

تحيرت — والرحمنِ — لا شك فى أمرِى
وحلّت بىَ الأحزانُ من حيثُ لا أدرِى

سأصبر حتى يعلَمَ الناسُ أننى
صبرتُ على شىء أمرَّ من الصبر

وما أحسن الصبرَ الجميلَ مع التقى
وما قدَّرَ المولى على خَلْقه يجرى

سرائرُ سِرِّى ترجمانُ سريرتى
إذا كان سرَّ السر سرُّكَ فى سرى

ولو أن ما بى بالجبال لهُدِّمتْ
وبالنار أطفاها وبالريح لم يَسْرِ

ومن قال إن الدهر فيه حـــلاوة
فلا بد من يوم أمرٍّ من المـرِّ

ثم سافرتُ الأقطار، ووردتُ الأمصار، وقصدت دارالسلام بغداد، لَعَلِّى أتوصل إلى أمير المؤمنين وأخبره بما جرى لى؛ فوصلت إلى بغداد هذه الليلة، فوجدت أخى هذا الأول واقفا متحيرا، فقلت: «السلام عليكم». وتحدثت معه، و إذا بأخينا الثالث قد أقبل علينا وقال: «السلام عليكم، أنا رجل غريب»، فقلنا له: «ونحن غريبان، وقد وصلنا فى هذه الليلة المباركة». فمشينا نحن الثلاثة، وما فينا أحد يعرف حكاية أحـد، فساقتنا المقادير إلى هذا الباب ودخلنا عليـكم، وهذا سبب حلق ذقنى وتلف عينى.

فقالت له: إن حكايتك غريبة، فامسح على رأسك واخرج إلى حال سبيلك.

فقال: لا أخرج حتى أسمع حديث رفيقى.

فتقدم الصعلوك الثالث وقال: أيتها السيدة الجليلة، ما قصتى مثل قصتهما، بل قصتى أعجب، وذلك أن هذين جاءهما القضاء والقدر، وأما أنا فسبب حلق ذقنى، وتلف عينى، أننى جلبت القضاء لنفسى، والهم لقلبى. وذلك أنى كنت ملـكا ابن ملك، مات والدى وأخذت الملك من بعـده، وحكمت وعدلت، وأحسنت للرعية، وكان لى محبة فى السفر فى البحر، وكانت مدينتى على البحر، والبحر متسع، وحولنا جزائر معدة للقتال، فأردت أن أتفرج على الجزائر، فنزلت فى عشر

مراكب ، وأخذت معى مئونة شهر ، وسافرت عشرين يوما ؛ ففى الليلة التى بعدها . هبت علينا رياح مختلفة ، إلى أن لاح الفجر ، وهدأت الريح ، وسكن البحر ، حتى أشرقت الشمس . ثم إننا أشرفنا على جزيرة وطلعنا على البر ، وطبخنا شيئا نأكله فأكلنا ، ثم أقمنا يومين وسافرنا عشرين يوما ، فاختلطت علينا المياه وعلى الريس ، واستغرب الريس البحر ، فقلنا للناظور : «انظر البحر بتأمل» . فطلع على الصارى ، ثم نزل ذلك الناظور وقال للريس : «رأيت عن يمينى سمكا على وجه الماء ، ونظرت إلى وسط البحر ، فرأيت سواداً من بعيد ، يلوح تارة أسود ، وتارة أبيض » . فلما سمع الريس كلام الناظور ، ضرب الأرض بعمامته ، ونتف لحيته ، وقال للناس : « أبشروا بهلاكنا جميعا ، ولن يسلم منا أحد» . وشرع يبكى ، وكذلك نحن جميعا جعلنا نبكى على أنفسنا ، فقلت : « أيها الريس أخبرنا بما رأى الناظور » ، فقال : «ياسيدى اعلم أننا تهنا يوم جاءت علينا الرياح المختلفة ، ولم يهدأ الريح إلا بكرة النهار ، ثم أقمنا يومين فتهنا ، ولم نزل تائهين أحد عشر يوما من تلك الليلة ، وليس لنا ريح إلى آخر النهار يرجعنا إلى ما نحن قاصدون ، وفى غد نصل إلى جبل من حجر أسود يسمى حجر المغناطيس ، وتجرنا المياه غصبا إلى جهته ، فتتمزق المركب ، ويروح كل مسمار فى المركب إلى الجبل ويلتصق به ، لأن الله وضع فى حجر المغناطيس سرًّا ، وهو أن جميع الحديد يذهب إليه ، وفى ذلك الجبل

حديد كثير لا يعلمه إلا الله تعالى ، حتى أنه تكسر من قديم الزمان مراكب كثيرة بسبب ذلك الجبل ؛ ويلي ذلك البحر قبة من النحاس الأصفر معقودة على عشرة أعمدة ، وفوق القبة فارس على فرس من نحاس ، وفى يد ذلك الفارس رمح من نحاس ، ومعلق فى صدر الفارس لوح من رصاص ، منقوش عليه أسماء وطلاسم ، فيها — أيها الملك : ما دام هذا الفارس راكبا على هذا الفرس ، تنكسر المراكب التى تمر من تحته ، ويهلك ركابها جميعا ، ويلتصق جميع الحديد الذى فى المركب بالجبل ، وما الخلاص الا اذا وقع هذا الفارس من فوق ذلك الفرس .
ثم إن الريس — ياسيدتى — بكى بكاء شديداً ، فتحققنا أننا هالكون لامحالة ، وكل منا ودع صاحبه ، فلما جاء الصباح ، قربنا من ذلك الجبل ،



وساقتنا الميـاه إليه غصبا ؛ فلما صارت المراكب تحته، انفتحت، وفرّت المسامير منها ، وكل حديد فيها نحو حجر المغناطيس ، ونحن دائرون حوله ، وفى آخر النهار تمزقت المراكب ، فمنا من غرق ، ومنا من سلم ؛ لـكن أكثرنا غرق ، والذين سـلموا لم يعلموا ببعضهم ، لأن تلك الأمواج واختلاف الرياح أدهشتهم ، وأما أنا — يا سيدتى — فنجانى الله تعالى ، لما أراده من مشقتى وعذابى و بلوتى ، فطلعت على لوح من الألواح ، فألقاه الريح والأمواج إلى جبل ، فأصبت طريقا مُصْعِدًا فيه إلى أعلاه ، على هيئة السلالم منقورة فى الجبـل ، فسميت الله تعـالى .

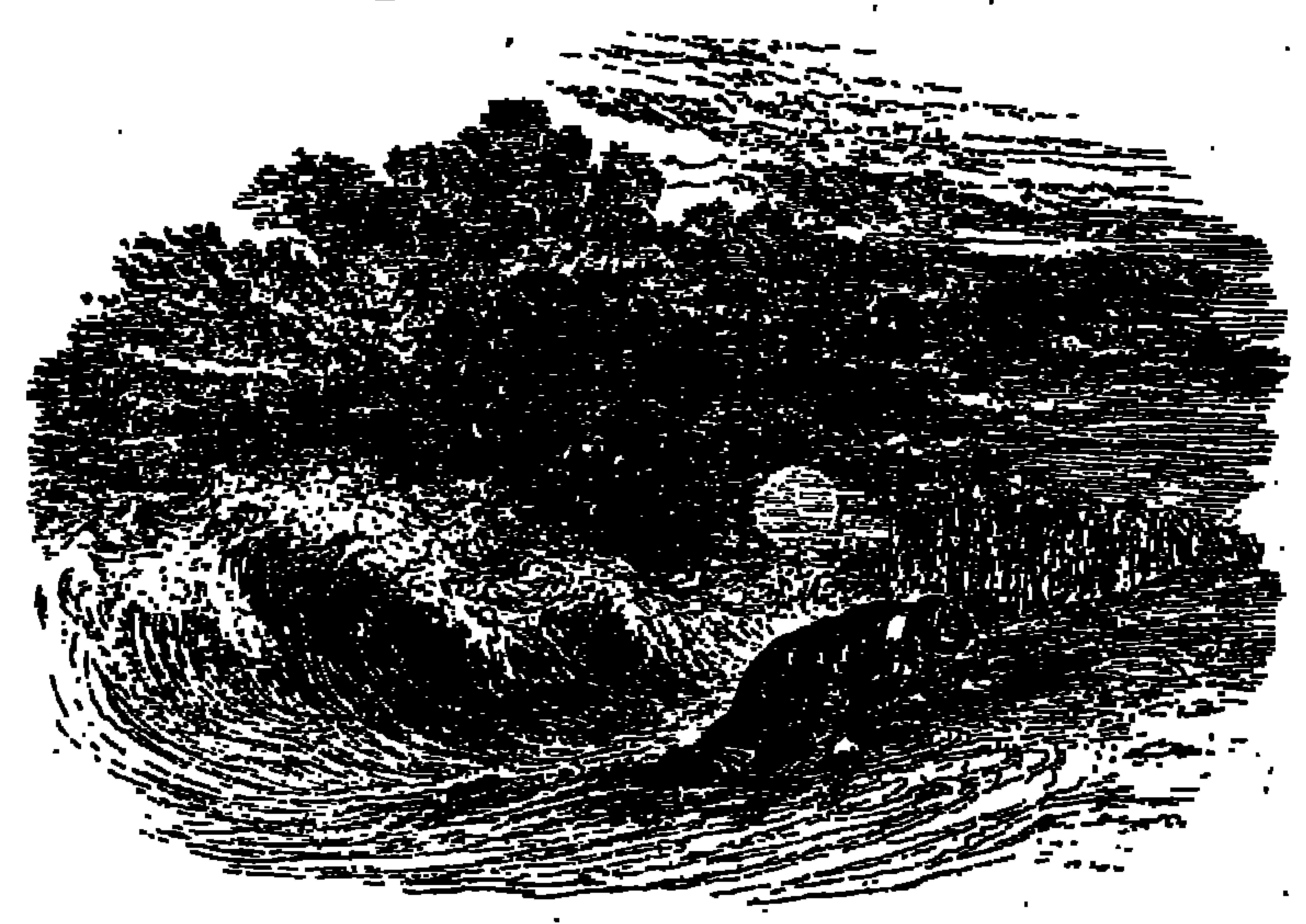
وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الـكلام المباح .

١٥

(ولما كانت الليلة الخامسة عشرة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك الثالث قال للصبية — والجماعةُ مكتفون والعبيـد واقفون بالسيوف على رءوسهم — ثم إنى سميت الله ودعوته وابتهلت إليـه ، وحاولت الطلوع على الجبل ، وصرت أتمسك بالنقر التى فيه ، حتى أسكن الله الريح فى تلك الساعة ، وأعاننى على الطلوع ، فطلعت سالمـا على الجبل ، وفرحت بسلامتى غاية الفرح ، ولم يكن لى دأب إلا القبة ، فدخلت وصليت فيها ركعتين شكراً لله على سلامتى ، ثم إنى نمت

تحت القبة ، فسمعت قائلا يقول : « يا بن خصيب ، إذا انتهيت من منامك ، فاحفر تحت رجليك تجد قوسا من نحاس ، وثلاث نشابات من رصاص منقوشا عليها طلاسم ، فخذ القوس والنشابات ، وارم الفارس الذى على القبة ، وأرح الناس من هذا البلاء العظيم . فإذا رميت الفارس يقع فى البحر ، ويقع القوس من يدك ، فخذ القوس وادفنه فى موضعه ، فإذا فعلت ذلك يطفو البحر ويعلو حتى يساوى الجبل ، ويطلع عليه زورق فيه شخص غير الذى رميته ، فيجىء إليك وفى يده مجداف ، فاركب معه ولا تسم الله تعالى ، فإنه يحملك ويسافر بك مدة عشرة أيام إلى أن يوصلك إلى بحر السلامة ؛ فإذا وصلت هناك ، تجد من يوصلك إلى بلدك ، وهذا إنما يتم لك إذا لم تسم الله » . ثم استيقظت من نومى وقمت بنشاط ، وقصدت الماء كما قال الهاتف ، وضربت الفارس فرميته فوقع فى البحر ، ووقع القوس من يدى ، فأخذت القوس ودفنته ، فهاج البحر وعلا ، حتى ساوى الجبل الذى أنا عليه . فلم ألبث غير ساعة حتى رأيت زورقا فى وسط البحر يقصدنى ، فحمدت الله تعالى ؛ فلما وصل إلىّ الزورق ، وجدت فيه شخصا من النحاس ، فى صدره لوح من الرصاص ، منقوش بأسماء وطلاسم ، فنزلت فى الزورق وأنا ساكت لا أتكلم ، فحملنى الشخص أول يوم والثانى والثالث إلى تمام عشرة أيام ، حتى رأيت جزائر السلامة ، ففرحت فرحا عظيما ، ومن شدة فرحى ذكرت الله وسميت ، وهللت وكبرت . فلما فعلت ذلك قذفنى من الزورق

فى البحر ، ثم رجع فى البحر ؛ وكنت أعرف العوم فعمت ذلك اليوم إلى الليـل حتى كلّت سواعدى ، وتعبت أكتافى ، وصرت فى الهلـكات ، ثم تشهدت وأيقنت بالموت . وهاج البحر من كثرة



الرياح ، فجاءت بموجة كالقلعة العظيمة فحملتنى،وقذفتنى قذفة صرت بها فوق البر ، لما يريد الله . فطلعت وعصرت ثيابى ، ونشفتها على الأرض ، وبتّ فلما أصبحت لبست ثيابى ، وقمت أنظر أين أمشى ، فوجدت غُوطة ، فجئتها ودرت حولها ، فوجدت الموضـع الذى أنا فيه جزيرة صغيرة ، والبحر محيط بها ، فقلت فى نفسى : « كلما أخلص من بلية أقع فى أعظم منها » . فبينما أنا متفكر فى أمرى ، وأتمنى الموت ، إذ نظرت مركبا فيها ناس ، فقمت وطلعت على شجرة ، وإذا بالمركب التصقت

بالبر ، وطلع منها عشرة عبيد معهم مساحى ، فمشوا حتى وصلوا إلى وسط الجزيرة ، وحفروا فى الأرض وكشفوا عن طابق ، فرفعوا الطابق وفتحوا بابه ، ثم عادوا إلى المركب ونقلوا منها خبزا ودقيقا وسمنا وعسلا وأغناما ، وجميع ما يحتاج إليه الساكن ، وصار العبيد مترددين بين المركب وباب الطابق ، وهم يحوّلون من المركب ، وينزلون فى الطابق ، إلى أن نقلوا جميع ما فى المركب . ثم بعد ذلك طلع العبيد ومعهم ثياب من أحسن مايكون ، وفى وسطهم شيخ كبير هرم ، قد عمر زمنا طويلا ، وأضعفه الدهر حتى صار فانيا ، ويد ذلك الشيخ فى يد صبى قد أفرغ فى قالب الجمال ، وألبس من الحسن حلة الكمال ، حتى أنه يضرب بحسنه الأمثال ، وهو كالقضيب الرطب ، يسحر كل قلب بجماله ، ويسلب كل لبّ بكماله . فلم يزالوا — يا سيدتى — سائرين حتى أتوا إلى الطابق ، ونزلوا فيه وغابوا عن عينى ، ولبثوا فى أسفله حوالى ساعتين أو أكثر ، وبعد ذلك خرج الشيخ والعبيد ، ما عدا الغلام الذى أتى معهم فإنه لم يخرج . ثم أعادوا الطابق وواروه بالتراب ، وعادوا إلى المركب وأقلعوا بها .

فلما توجهوا قمت ونزلت من فوق الشجرة ، ومشيت إلى موضع الردم ، ونبشت التراب ونقلته ، وصبرت نفسى حتى أزلت جميع التراب فانكشف الطابق ، فإذا هو خشب مقدار حجر الطاحون فرفعته ، فبان من تحته سلم معقود من حجر ، فتعجبت من ذلك ، ونزلت فى السلم حتى انتهيت إلى آخره .

وهناك وجدت مكاناً نظيفا جميلا قد فرش بالأبسطة الحريرية ، وكان الغلام جالسا على (مرتبة) عالية ، تحيط به الأزهار الجميلة العطرة ، وقد وضعت أمامه الفواكه ، وحينما وقعت عينه علىّ اصفر لونه ، ولكنى حييته وقلت له : كن مطمئن البال يا سيدى ، ولا تخش شيئا يا قرة عينى ، فأنا إنسان مثلك ، وابن ملك ، وقد ساقنى القدر إليك ، ولعلى أسليك فى وحدتك .

فلما سمعنى وعرف أنى أوجه إليه الكلام ، اقتنع أنى إنسان مثله ، وابتهج فى الحال لوجودى ، وعاد إليه لونه ، ورغب إلى فى أن أقترب منه ، وقال :

— يا أخى ، إن قصتى عجيبة ، فوالدى تاجر جواهر ، وله عبيد يبعثهم فى الأسفار حسب أمره لأجل التجارة ، وكان يتعامل مع الملوك ، ولكنه لم يرزق ولدا . ثم رأى فى منامه أنه فى القريب سيرزق بولد ، ولكن حياته ستكون قصيرة ، فاستيقظ من نومه مغموما . وبعد ذلك بمدة قليلة تبعا لما قدره الله ، حملت بى والدتى ، وحينما تمت أيام الحمل ولدتنى ، ففرح بى أبى غاية الفرح ، وجاءه المنجمون وقالوا له : « هذا الصبى سيعيش خمسة عشر عاما ، وأجله سينتهى حينما يتحقق ما يأتى : فى البحر توجد جبال تسمى جبال المغناطيس ، وفوقها فارس على حصان ، وهما من النحاس الأصفر ، وفى مقدمة الفارس لوح من الرصاص معلق فى رقبته ، فحينما يسقط هذا الفارس من فوق الجواد سيقتل ولدك ،

والشخص الذى سيقتله هو نفسه الذى أسقط الفارس من فوق جواده ، واسمه الملك عجيب بن الملك خصيب » . فصار والدى فى غاية الألم من هذه النبوءة .

ثم ربانى والدى حتى قاربت بلوغ سن الخامسة عشرة ، فجاء المنجمون ثانية ، وأخبروه أن الفارس قد سقط فى البحر ، وأن الذى أسقطه هو الملك عجيب بن الملك خصيب .

وعند سماع أبى هذا الكلام ، أعدّ لى هذا المكان ، وتركنى لأظل فيه إلى نهاية المدة التى بقى عليها عشرة أيام . وكل هذا فعله لخوفه من أن يقتلنى الملك عجيب .

فحينما سمعت هذا تملكنى العجب، وقلت فى نفسى : أنا الملك عجيب ابن الملك خصيب ، و إننى أنا الذى أسقطت الفارس ، لكن والله لن أقتله ولن أصيبه بأى أذى .

ثم قلت للصبى : وقاك الله كل شر ومكروه ، و إن شاء الله تبارك وتعالى لايقع ماتخشاه ، وسأظل معك لأخدمك ، ثم أذهب معك إلى والدك وأرجوه أن يعيدنى إلى بلادى لينال الثواب .

فسر الصبى لكلامى ، وجلست أتحادث معه إلى الليل ، ثم أعددت له الفراش وغطيته ، ونمت قريبا منه ، وفى الصباح أحضرت له ماء فغسل وجهه ، وقال لى : أسأل الله أن يجازيك بنعمة على ما صنعته

معى من المعروف ، و إذا نجوت من الملك عجيب سأجعل والدى يعيدك إلى بلادك معززا مكرما .

فقلت : لا كان ذلك اليوم الذى يجىء إليك بنكبة .

ثم وضعت أمامه بعض الطعام والشراب ، و بعد أن أكلنا معا ، قضينا اليوم متحدثين فى غاية البهجة والانشراح ، وقد داومت على خدمته مدة تسعة أيام .

وفى اليوم العاشر ابتهج الصبى بوجوده سالما ، وقال لى : ياأخى إذا شملتنى بعطفك ، فإنى أريد أن تدفىء بعض الماء لأغتسل وأغير ثيابى ، لأننى قد تنسمت رائحة النجاة من الموت نتيجة لمساعدتك .

فقلت : بكل سرور أقوم وأدفىء لك الماء .

ثم دخل مكانا بعيدا عن نظرى واغتسل وغيّر ملابسه ، ثم استلقى على المرتبة ليستريح عقب الاستحمام ، وقال لى : شرّحْ لى ياأخى شمامة ، وامزج قطعها ببعض السكر .

فحينئذ قمت وأخذت شمامة وأحضرتها فوق طبق ، وقلت له : ألا تعرف يا أخى أين السكين ؟

فقال : انظر هاهى ذى على الرف الذى فوق رأسى .

فوثبت بسرعة ونزعتها من غمدها ، وعند ارتدادى إلى الخلف عثرت رجلى — لما قدره الله — ووقعت على الصبى وكانت السكين فى يدى ، فغاصت فى جسده ، فمات فى الحال .



وحينما تيقنت أنه مات ، وأنني أنا الذى قتلته ، صحت صيحة عظيمة ، ولطمت على وجهى ومزقت ثيابى ، وقلت : هذه حقاً فاجعة عظيمة ، ما أعظم فجيعتى ! يا إلهى أسألك المغفرة ، إنى أشهدك يا ربى أنى برىء من قتله ، ليتنى مت قبله ، ما أعظم ما قاسيته من المتاعب بعضها إثر بعض .

ثم صعدت الدرجات وأنا فى هذه الحال ، وفتحت الطابق وعدت إلى مكانى الأول ، ونظرت إلى البحر فرأيت السفينة التى جاءت من قبل مقبلة تشق الأمواج فى سرعة عظيمة ، حينئذ قلت فى نفسى :

الآن سيصعد الرجال من السفينة ، ويجدون الغلام مقتولا ، وعندئذ سيقتلونى أيضاً .

فتسلقت شجرة وأخفيت نفسى بين أوراقها ، وانتظرت حتى وصلت المركب وألقت مراسيها ، ونزل منها العبيد مع الشيخ والد الغلام ، وذهبوا إلى المكان وأزالوا التراب . ودهشوا لوجوده مبتلًّا ؛ وحينما نزلوا الدرجات وجدوا الغلام ملقى على ظهره ، وقد ظهر وجهه يشع جمالا ، مع أنه ميت ، وقد ارتدى ملابس بيضاء نظيفة والسكين مستقرة فى جسده ، فصرخوا جميعا ، وسقط والده مغشيا عليه ، ولبث مدة طويلة حتى ظن العبيد أنه مات ، وأخيرا أفاق من إغمائه ثم خرج مع العبيد ، وقد لفوا جثة الغلام فى ثيابه . ثم أخذوا كل ما كان فى المكان الذى تحت الأرض ، وأعادوه إلى السفينة وأقلعوا بها .

وقد لبثت — يا سيدتى — طول اليوم مختبئا فى الشجرة ، وفى الليل نزلت وجعلت أدور فى أنحاء الجزيرة ، وظللت على هذه الحال أواصل التجول فى أنحائها مدة شهرين ، وأدركت حيناً وصلت إلى الجانب الغربى منها أن ماء البحر يجف فى موضع منه ، ويبدو كأنه ممرّ ، فسررت بذلك وشعرت بأننى سأنجو ، فاخترقت هذا الممر الجاف ووصلت إلى منطقة رملية ممتدة ، فتشجعت واخترقتها ، وعندئذ رأيت من بعيد ناراً تلوح ، وحينما اقتربت منها وجدتها قصرا مصفحا بألواح النحاس

الأحمر ، وكان هو الذى يعكس أشعة الشمس ، فكانت تبدو من بعيد كالنار . وعندما اقتربت منها مأخوذا بهذا المنظر وجدت شيخا عجوزا يندفع نحوى ومعه عشرة شبان ، كل منهم أعور ، مما أثار دهشتى البالغة ؛ وحينما رأونى حيونى وسألونى أن أقص عليهم قصتى ، فقصصتها من أولها إلى آخرها ، فتملكهم العجب . و بعد ذلك قادونى إلى القصر حيث وجدت عشرة مقاعد ، فوق كل منها مرتبة مغطاة بقماش أزرق ، فجلس كل منهم فوق واحدة منها ، بينما جلس الشيخ فوق مقعد أصغر منها . و بعد ذلك قالوا لى : « اجلس أيها الشاب على البساط ، ولا تسأل عن حالنا ولا عن سبب عورنا » . ثم قام الشيخ وأحضر لكل منهم بعض الطعام ، وأحضر لى مثلهم ، و بعد أن أكلنا أحضر بعض الشراب ، فجلسنا نشرب معا إلى أن أتى وقت النوم ، فقال الشبان للشيخ : « أحضر لنا ما اعتدنا عليــه » . وعندئذ قام الشيخ ودخل مكانا منعزلا ، وأحضر عشر أوان مغطاة يحملها فوق رأسه فى صينية ، فوضعها فوق الأرض ، وأضاء عشر شموع ووضع كل واحدة فوق الصينية ، و بعد أن انتهى من ذلك أزاح الغطاء عن الأوانى فظهر تحتها فحم مسحوق ، فشمر الشبان عن سواعدهم ، وسودوا وجوههم ، ولطموا خـدودهم ، وصاحوا قائلين : « كنا نعيش آمنين ، فدفعنا فضولنا إلى أن نفقد أمننا » . ثم استمروا على ذلك إلى الصباح . عند ذلك أحضر لهم الشيخ ماء ساخنا ، فغسلوا وجوههم ، وارتدوا ملابس أخرى . فلما شاهدت هذا العمل اضطربت ، ونسيت

همومى لرؤية هموم غيرى ، وسألتهم عن سبب هـذا الفعل العجيب .
فعند ذلك نظروا إلى وقالوا : « أيها الشاب لا تسأل عما لا يعنيك ، تلق
ما لا يرضيك ، واصمت فإن فى الصمت أمانا من الزلل » . ثم بقيت معهم
شهرا كاملا ، وفى كل يوم يفعلون كما فعلوا من قبل . وأخيرا قلت لهم :
« أقسمت عليكم بالله أن تريحونى وتكشفوا لى عن سركم ، وسبب
صياحكم بأنكم كنتم تعيشون فى أمان ، وأن فضولكم قد سبب لكم
المتاعب ، فإذا لم تقصوا على قصتكم فإنى أترككم وأذهب فى طريقى ، لأن
المثل يقول : إذا رأت العين لا يحزن القلب » . فعند سماعهم ذلك قالوا :
« إننا لم نُخفِ عنك سرنا وحالنا إلا لأجل نفعك ، حتى لا تصير مثلنا ،
وخوفا من أن يصيبك مثل ما أصابنا » . فقلت : « مهما كان الأمر
فينبغى أن تخبرونى بحالكم » . فقالوا : « إننا ننصحك نصيحة غالية ،
فاقبلها ولا تسأل عن أمرنا وإلا صرت أعور مثلنا » . ولكنى
ما زلت ألحّ عليهم حتى قالوا : « أيها الشاب اعلم أنه إذا حدث لك
شىء فإننا سنطردك من صحبتنا » . ثم قاموا جميعا وأخذوا كبشاً وذبحوه
وسلخوه وقالوا لى : « خذ هذه السكين معك وادخل فى الجلد ،
وسنخيطه عليك ونتركك ، وبعد ذلك سيأتى طائر يسمى الرخّ ،
ويحملك بمخالبه ويطير بك ، ويضعك فوق جبل ؛ وعندئذ اقطع الجلد
بالسكين واخرج فسيطير الرخ بعيدا ؛ فبمجرد طيرانه انهض وسافر مدة

نصف يوم ، وسترى أمامك قصراً شامخا مصفحا بالذهب ومرصعا بالجواهر الثمينة ، كالزمرد واللؤلؤ والدر ؛ وإذا دخلت هذا القصر فستصير حالك كحالنا ، لأن دخولنا فيه هو الذى جعلنا عورا ، وإذا قص عليك كل منا قصته فإنها ستكون أطول من أن تستطيع سماعها » .

ثم وضعونى فى الجلد وخاطوه ودخلوا القصر ، وبعد قليل جاء طائر أبيض كبير فحملنى وطار بى ووضعنى فوق الجبل ، فقطعت الجلد وخرجت ، وعندما رآنى الرخ طار ، فنهضت سريعا واتجهت ناحية القصر ، فوجدته كما وصفوه لى ، وحينما دخلته وجدت فى صدر أحد أبهائه أربعين فتاة جميلات كالبدور ، يرتدين أجمل الثياب ، وحينما رأيننى صحن قائلات : « أهلا ومرحبا ياسيدنا ومالكنا ، إننا منذ شهر فى انتظارك ، والحمد لله الذى أنعم علينا برجل جدير بنا ونحن جديرات به » . وبعد التحية أجلسننى فوق مرتبة وقلن لى : « إنك من اليوم سيدنا ومالكنا ، ونحن جميعا جواريك وطوع أمرك » . ثم أحضرن لى بعض الطعام ، وبعد أن أكلت وشربت جلسن يتحدثن معى ، وقد ملأهن السرور والاغتباط ، وكن فى غاية الظرف والجمال ، يسلبن لبّ الزاهد ويأسرنه ويستحوذن عليه . فلما اقترب الليل تجمعن حولى ، ووضعن أمامى مائدة عليها فواكه مختلفة ، وأطعمة لا يستطيع أحد وصفها ، وابتدأت إحداهن تغنى وتعزف على العود ، ودارت الكئوس علينا ، وملأنى السرور فنسيت همومى وقلت :

« ما أجمل هذه الحياة ! » ثم أمضيت ليلتى فى بهجة لم يسبق لى مثلها ، وفى الصباح دخلت الحمام ، و بعد أن اغتسلت أحضرن لى ثيابا ثمينة ، وجلسنا نتسامر .

ثم إنى يا سيدتى عشت معهن على هذه الحال مدة سنة كاملة .

وفى اليوم الأول من السنة التالية جلسن حولى ، وابتدأن يبكين وهن يودعننى و يتعلقن بثيابى .

فقلت لهن : أى مصيبة حلت بكن ؟ لقد قطعتن قلبى .

فقلن : لتتنا ماعرفناك أبدا ، فإننا خالطنا رجالا كثيرين ، ولكننا لم نجد أحدا مثلك ، ونسأل الله أن لا يحرمنا من صحبتك .

وابتدأن يبكين مرة أخرى ، فقلت لهن : أود أن تخبرننى بسبب بكائكن .

فقلن : إنك أنت السبب ، ومع ذلك فإذا استمعت إلى ماسنخبرك به الآن، فلن نفترق أبدا ؛ أما إذا خالفتنا فسيحل بيننا الفراق ، و إن قلوبنا تحدثنا أنك لن تستمع إلى نصحنا .

فقلت لهن : انصحننى وسأعمل بنصحكن .

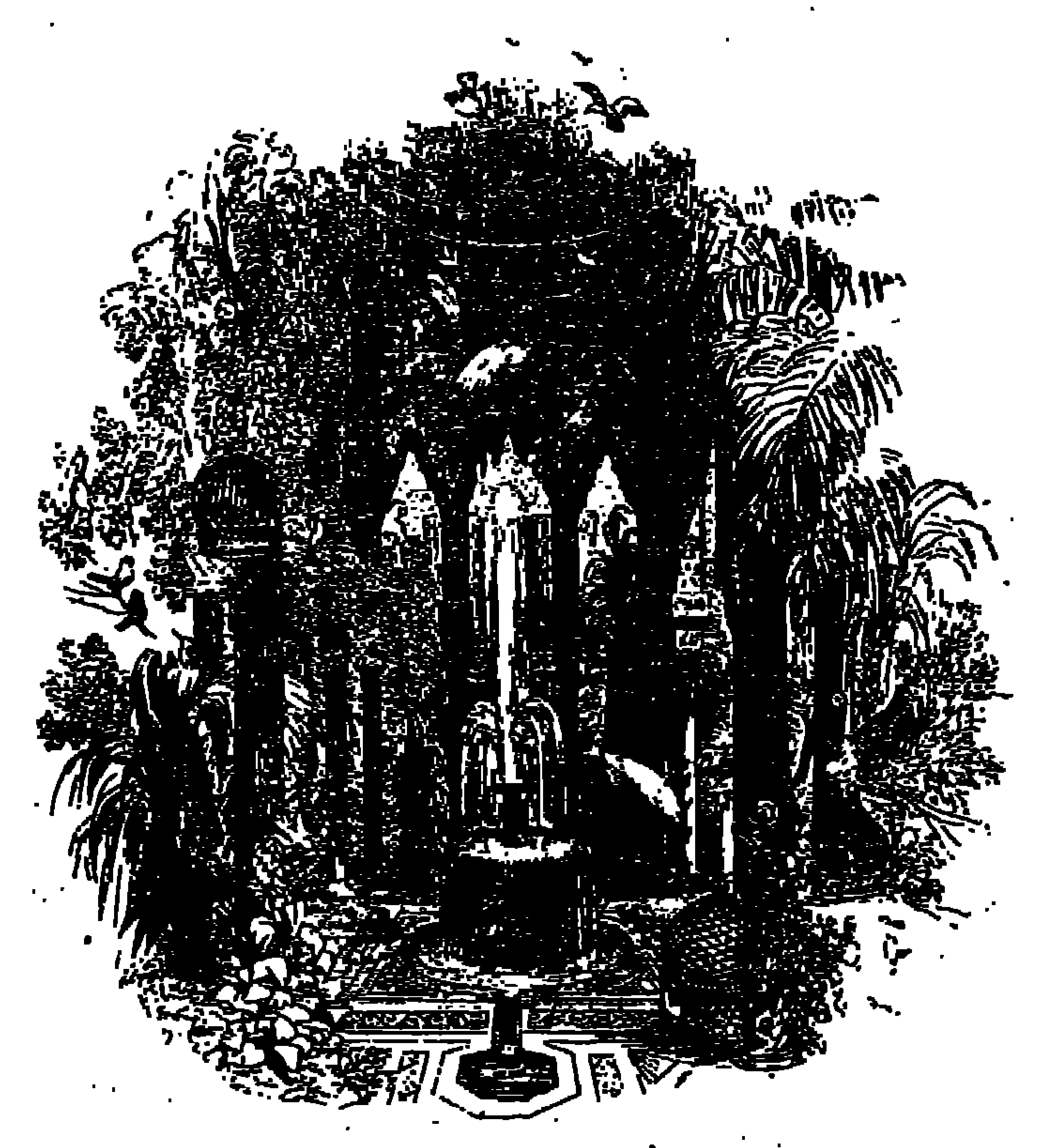
فقلن : إذا أردت أن تعرف حالنا ، فاعلم أننا جميعا أميرات و بنات ملوك ، ومنذ سنوات عديدة جرت عادتنا أن نجتمع هنا طول العام ، ثم نعود إلى بلادنا ونبقى بها أربعين يوما ، و بعد ذلك نرجع إلى هذا القصر وننهمك بقية العام فى فرح وسرور ، وهذه هى عادتنا دائما ؛ ونخشى الآن

أن لا تتبع أمرنا عندما نغيب عنك . ونحن سنسلم لك مفـاتيح القصر وعددها مائة ، لـكل مفتاح حجرة ، فافتح كلا منها وتسلَّ كما تشاء ، ما عدا الغرفة التى لهـا باب من الذهب ، لأنك إذا فتحتها فستكون النتيجة الفراق بيننا و بينك ، ونستحلفك بالله أن تستمع لأمرنا ، وأن تـكون صبورا خلال هذه الفترة .

فعند سماعى ذلك أقسمت لهن أنى لن أفتح هـذه الغرفة أبدا ، فسررن لذلك ، وافترقنا وهن يبالغن فى حثى على أن أحافظ على عهدى . فبقيت وحيدا فى القصر ، وعندما دنا الليل فتحت الباب الأول ودخلت ، فوجدت قصرا كأنه من قصور الجنة ، بحديقة فيها أشجار خضراء ، تتدلى على فروعها الفواكه الناضجة ، وتـكثر بينها الطيور المغردة ، والمياه تتدفق غزيرة فى الجداول ، فارتاح قلبى لهذه المناظر ، وتجولت بين الأشجار ، مستمتعا برائحة الأزهار ، مصغيا إلى تغريد الأطيار ، وهى تسبح الواحد القهار . وزاد إعجابى بمنظر التفاح الذى امتزج فيـه لونان ، أحمر يشبه وجنات المعشوق الفتان ، وأصفر يحكى وجه العاشق الولهان ، وتفوح روائح الخوخ فتنشر عبيرا كالمسك والعنبر ، ويتدلى البرقوق يلمع كالياقوت الأحمر .

وعدت من هذا المـكان وأوصدت الباب ، وفتحت الباب الآخر المجاور له ، فرأيت بداخله ممرا جميلا تحف به أشجار النخيل العديدة ،

ترويها أنهار تجرى بين أشجار الورد والياسمين والنرجس ومختلف الأزهار التى ملأ عبيرها المكان ، مما جعلنى فى غاية السرور . ثم أغلقت الباب الثانى وفتحت الباب الثالث ، وفى داخله وجدت بهوا عظيما مرصوفا برخام مختلف الألوان ، ومرصعا بأحجار كريمة ، وبه أقفاص مصنوعة من



خشب الصندل والعود ، وبداخلها طيور تغرد ، وأنواع أخرى من الطيور بداخل أقفاص معلقة على الأغصان ، فانشرح صدرى لمرآها ، وزالت

همومى فنمت إلى الصباح ، ثم فتحت الباب الرابع فرأيت بناء شامخا ، يحتوى على أربعين غرفة مفتحة الأبواب ، وعندما دخلتها وجدت لؤلؤا وياقوتا وغير ذلك من الجواهر ، مما يعجز اللسان عن وصفه ، فذهلت لهذه المناظر وقلت : « إن مثل هذه الأشياء لا يمكن أن توجد فى خزانة أى ملك من الملوك ، وأنا الآن ملك الزمان ، وجميع هذه الكنوز ملكى بفضل ربى ، هى وأربعون فتاة جميلة ، وليس هناك أحد يقاسمنى فى ذلك » .

وهكذا أخذت أسلى نفسى ، وأنا أتنقل من مكان إلى آخر ، إلى أن انقضت مدة تسعة وثلاثين يوما ، فتحت فى أثنائها جميع الغرف التسع والتسعين ، وكل باب أفتحه أجد بداخله ما يذهل العقول . وبقيت الغرفة التى كان محظورا علىّ أن أفتحها ، وعندئذ اضطرب قلبى وغلبنى الفضول لاستطلاع مافيها ، وزين لى الشيطان فتحها ، وما ذلك إلا ليدفعنى إلى الشقاء . ونفد صبرى ولم أستطع مقاومة الإغراء ، مع أنه لم يبق إلا يوم واحد على الميعاد المحدد لعودة الفتيات . وحينئذ تقدمت وفتحت الباب ، وعندما دخلت هبت علىّ رائحة شذية ، لم أشم مثلها من قبل ، فخدرتنى ووقعت مغشيا على . وظللت كذلك بعض الوقت ، ثم أفقت إلى نفسى أخيرا وتشجعت وتقدمت ، فوجدت نفسى فى غرفة واسعة ، حيطانها وسقفها وأثاثها كله من الذهب الخالص ، والمكان مضاء بمصابيح من الذهب ، والشموع تفوح منها رائحة المسك والعنبر ، ويتصاعد البخور من مبخرتين من الزجاج فتنشران رائحة الصندل والعود ، ورأيت

جواداً أسود كالليل البهيم ، وأمامه وعاء من البلور مملوء بالسمسم النقى ، و إناء آخر مملوء بماء الورد الممزوج بالمسك ، وكان الجواد مسرجا ملجما ، وسرجه من الذهب الخالص ، فذهلت من رؤيته، وقلت لنفسى : « لا بد أن أمر هذا الحصان غريب » . و بدافع من وسوسة الشيطان ، وضعت رجلى فى الركاب وامتطيته، ولكنه لم يتحرك من مكانه، فهمزته بقدمى ، ولكنه لم يتحرك ، فتناولت مقرعة وضربته بها ، وحينما شعر بالضرب صهل بصوت كالرعد ، و بسط جناحين وطار بى إلى عنان السماء ، ثم نزل بى فوق سطح قصر آخر ، وألقانى من فوق ظهره ، وضربنى بذيله ضربة شديدة فوق وجهى ، فاقتلع عينى وتركنى . فنزلت وأنا على هذه الحال من فوق السطح ، فوجدت العشرة الشبان العور الذين سبق أن كنت عندهم ، فصاحوا عند رؤيتى قائلين : « لا مرحبا بك » .

فقلت لهم : « أتقبلوننى أجلس عندكم ؟ » .

فقالوا : « والله لا تجلس عندنا » .

فخرجت من عندهم حزين القلب باكى العين ، وكتب الله لى السلامة حتى وصلت إلى بغداد ، فحلقت ذقنى وصرت صعلوكا ، فوجدت هذين الأعورين ، فسلمت عليهما وقلت : «أنا غريب » . فقالا : « ونحن غريبان » ، فهذا سبب تلف عينى وحلق ذقنى .

فقالت له الصبية : امسح رأسك ورُحْ .

فقال : والله لا أروح حتى أسمع قصة هؤلاء .

ثم إن الصبية التفتت إلى الخليفة وجعفر ومسرور وقالت لهم : أخبرونى بخبركم .

فتقدم جعفر وحكى الحكاية التى قالها للبوابة عند دخولهم ، فلما سمعت كلامه قالت : وهبت بعضكم لبعض .

فخرجوا إلى أن صاروا فى الزقاق ، فقال الخليفة للصعاليك : ياجماعة إلى أين تذهبون ؟

فقالوا : ماندرى أين نذهب . فقال لهم الخليفة : سيروا و بيتوا عندنا .

وقال لجعفر : خذهم وأحضرهم لى غدا حتى ننظر ما يكون . فامتثل جعفر لما أمره به الخليفة ، ثم إن الخليفة طلع إلى قصره ولم يجيئه نوم تلك الليلة ، فلما أصبح جلس على كرسى المملكة ، ودخل عليه أرباب الدولة ، فالتفت إلى جعفر بعد أن طلع أرباب الدولة وقال : ائتنى بالثلاث الصبايا والكلبتين والصعاليك .

فنهض جعفر وأحضرهم بين يديه ، فأدخل الصبايا تحت الأستار ، والتفت إليهن جعفر وقال لهن : قد عفونا عنكن لما أسلفتن من الإحسان إلينا ولم تعرفننا ، فها أنا ذا أعرفكن ، أنتن بين يدى الخليفة الخامس من بنى العباس هرون الرشيد ، فلا تخبرنه إلا حقا .

فلما سمع الصبايا كلام جعفر عن لسان أمير المؤمنين تقدمت

الـكبيرة وقالت : يا أمير المؤمنين إن لى حديثاً لو كتب بالإبر على آماق البصر لـكان عبرة لمن اعتبر .

وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الـكلام المباح .

١٦

(فلما كانت الليلة السادسة عشرة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن كبيرة الصبايا لمـا تقدمت بين يدى أمير المؤمنين قالت حديثا عجيباً : وهو أن هاتين الصبيتين أختاى من أبى من غير أمى ، فمـات والدنا وخلف خمسة آلاف دينار ، وكنت أنا أصغرهن سنا ، فتجهزت أختاى وتزوجت كل واحدة برجل ، ومكثنا مدة ، ثم إن كلا من زوجيهما هيأ متجراً وأخذ من زوجتـه ألف دينار ، وسافروا بعضهم مع بعض



وتركونى ، فغابوا أربع سنين ، وضيع زوجاهما المال وخسرا ، وتركاهما فى بلاد الناس . فجاءتانى فى هيئة الشحاذين ؛ فلما رأيتهما ذهلت منهما ولم أعرفهما ، ثم إنى لما عرفتهما قلت لهما : « ماهذه الحال ؟» فقالتا : « يا أختنا إن الكلام لا يفيد الآن ، وقد جرى القلم بما حكم الله » . فأرسلتهما إلى الحمام،وألبست كل واحدة حُلّةً،وقلت لهما : « يا أختىّ أنتما الكبيرتان وأنا الصغيرة ، وأنتما عوض عن أبى وأمى ، والإرث الذى نابنى معكما قد جعل الله فيه البركة ، فكلا من زكاته ، وأحوالى جليلة ، وأنا وأنتما سواء » . وأحسنت إليهما غاية الإحسان ، فمكثتا عندى مدة سنة كاملة ، وصار لهما مال من مالى، فقالتا لى : « إن الزواج خير لنا ، وليس لنا صبر عنه » . فقلت لهما : «يا أختىّ لن تريا فى الزواج خيراً ، فإن الرجل الجيد قليل فى هذا الزمان ، وقد جربتما الزواج » . فلم تقبلا كلامى ، وتزوجتا بغير رضاى، فزوجتهما من مالى وسترتهما ، ومضتا مع زوجيهما فأقامتا مدة يسيرة ، ولعب عليهما زوجاهما ، وأخذا ما كان معهما وسافرا وتركاهما ، فجاءتا عندى وهما عريانتان ، واعتذرتا وقالتا : « لا تؤاخذينا ؛فأنت أصغر منا سنا وأكمل عقلا ، وما بقينا نذكر الزواج أبدا » . فقلت : « مرحبا بكما يا أختى ، ما عندى أعز منكما » . وقبلتهما وزدتهما إكراما .

. . ولم نزل على هذه الحال سنة كاملة ، فأردت أن أجهز لى مركبا إلى البصرة ، فجهزت مركبا كبيرة ، وحملت فيها البضائع والمتاجر

وما أحتاج إليه فى المركب ، وقلت : « يا أختىّ هل لكما أن تقعدا فى المنزل حتى أسافر وأرجع ، أو تسافرا معى ؟ » فقالتا : « نسافر معك ، فإنا لانطيق فراقك » . فأخذتهما وسافرنا ، وكنت قسمتُ مالى نصفين، فأخذت النصف وخبأت النصف الثانى ، وقلت : « ربما يصيب المركب شىء ويكون فى العمر مدة ، فإذا رجعنا نجد شيئا ينفعنا » .

ولم نزل مسافرين أياما وليالى ، فتاهت بنا المركب ، وغفل الريس عن الطريق ، ودخلت المركب بحراً غير البحر الذى نريده ، ولم نعلم بذلك مدة ، وطابت لنا الريح عشرة أيام ، فلاحت لنا مدينة على بعد ، فقلنا للريس : ما اسم هذه المدينة التى أشرفنا عليها ؟

فقال : والله لا أعلم ، ولا رأيتها ، ولا سلكت عمرى هذا البحر ، ولكن جاء الأمر بسلامة ، فما بقى إلا أن تدخلوا هذه المدينة ، وتخرجوا بضائعكم ، فإن حصل لكم بيع فبيعوا .

وغاب ساعة ثم جاءنا وقال : قوموا ادخلوا هذه المدينة ، وتعجبوا من صنع الله فى خلقه ، واستعيذوا به من سخطه .

فطلعنا المدينة ، فوجدنا كل من فيها مسخوطا حجارة سودا ، فاندهشنا من ذلك ، ومشينا فى الأسواق فوجدنا البضائع باقية، والذهب والفضة باقيين على حالهما ، ففرحنا وقلنا : لعل هذا يكون له أمر عجيب .

وتفرقنا فى شوارع المدينة ، وكل واحد اشتغل عن رفيقه بما فيها من المال والقماش ؛ وأما أنا فطلعت القلعة ، فوجدتها محكمة ، فدخلت قصر

الملك ، فوجدت فيه جميع الأوانى من الذهب والفضة . ثم رأيت الملك جالسا وعنده حجابه ونوابه ووزراؤه ، وعليه من الملابس شيء يتحير فيه الفكر . فلما قربت من الملك وجدته جالساً على كرسى مرصع بالدر والجوهر ، فيه كل درة تضيء كالنجمة ، وعليه حلة مزركشة بالذهب ، وواقف حوله خمسون مملوكا يلبسون أنواع الحرير ، وفى أيديهم السيوف مجردة ؛ فلما نظرت ذلك دهش عقلى ، ثم مشيت ودخلت قاعة الحريم ، فوجدت على حيطانها ستائر من الحرير ، ووجدت الملكة عليها حلة مزركشة باللؤلؤ الرطب ، وعلى رأسها تاج مكلل بأنواع الجواهر ، وفى عنقها قلائد وعقود ، وجميع ما عليها من الملبوس والمصاغ باق على حاله ، وهى ممسوخة حجراً أسود . ووجدت باباً مفتوحا فدخلته ، ووجدت فيه سلماً بسبع درجات فصعدته ، فرأيت مكاناً مرخماً مفروشا بالبسط المذهبة ، ووجدت فيه سريراً من المرمر مرصعاً بالدر والجواهر . ونظرت نوراً لامعاً فى جهة فقصدتها ، فوجدت فيها جوهرة مضيئة قدر بيضة النعامة ، على كرسى صغير ، وهى تضيء كالشمعة ونورها ساطع ، ومفروش على ذلك السرير من أنواع الحرير ما يحير الناظر . فلما نظرت إلى ذلك تعجبت ، ورأيت فى ذلك المكان شموعا موقدة ، فقلت فى نفسى : « لا بد أن أحداً أوقد هذه الشموع » .

ثم إنى مشيت حتى دخلت موضعا غيره ، وصرت أفتش فى الأماكن ، ونسيت نفسى مما أدهشنى من التعجب من تلك الأحوال ،



واستغرق فكرى إلى أن دخل الليل ، فأردت الخروج فلم أعرف الباب ، وتهت عنه ؛ فعدت إلى الجهة التى فيها الشموع الموقدة ، وجلست على السرير ، وتغطيت بلحاف بعد أن قرأت شيئا من القرآن ، وأردت النوم فلم أستطع ، ولحقنى القلق .

فلما انتصف الليل سمعت تلاوة القرآن بصوت حسن رقيق ، فالتفت إلى مخدع فرأيت بابه مفتوحا ، فدخلت الباب ونظرت المكان ، فإذا هو معبد وفيه قناديل معلقة موقدة ، وفيه سجادة مفروشة جالس عليها

شاب حسن المنظر ، فتعجبت كيف هو سالم دون أهل المدينة ، فدخلت وسلمت عليـه ، فرفع بصره ورد علىّ السلام ، فقلت له : أسألك بحق ما تتلوه من كتاب الله أن تجيبنى عن سؤالى .

فتبسم وقال : أخبرينى عن سبب دخولك هـذا المـكان ، وأنا أخبرك بجواب ما تسأليننى عنه .

فأخبرته بخبرى ، فتعجب من ذلك ، ثم إننى سألته عن خبر هذه المدينة فقال : أمهلينى .

ثم طبق المصحف وأدخله فى كيس من الأطلس ،وأجلسنى بجانبه، فنظرت إليه فإذا هو كالبدر ، حسن الأوصاف ، لين الأعطاف ، بهى المنظر ، رشيق القد ، أسيل الخد ، زاهى الوجنات ، كأنه المقصود من هذه الأبيات :

رصد المنجم ليله فبـدا له ... قدُّ المليح يميس فى برديهِ
وتأمّل الجوزاء إذ نثرت به ... حبَّ الجمان يلوح فى عطفيه
وأمدّه زحل سواد ذوائب ... والمسك هادى الخال فى خديه
وغدت من المريخ حمرة خده ... والقوس يرمى النبل من جفنيه
وعطارد أعطاه فرط ذكائه ... وأبى السها نظر الوشاة إليـه
فغدا المنجم حائراً مما رأى ... والبدر باس الأرض بين يديه

فنظرت له نظرة أعقبتنى ألف حسرة ، وأوقدت بقلبى كل جمرة ، فقلت له : يامولاى ، أخبرنى عما سألتك .

فقال : سمعا وطاعة ! اعلمى أن هذه المدينة مدينة والدى وجميع أهله وقومه ، وهو الملك الذى رأيته على الكرسى ممسوخا حجراً . وأما الملكة التى رأيتها فهى أمى ، وقد كانوا مجوساً يعبدون النار دون الملك الجبار ، وكانوا يُقسمون بالنار والنور ، والظل والحرور ، والفلك الذى يدور . وكان أبى ليس له ولد ، فرزق بى فى آخر عمره ، فربانى حتى نشأت ، وقد سبقت لى السعادة ، وكان عندنا عجوز طاعنة فى السن ، مسلمة تؤمن بالله ورسوله فى الباطن ، وتوافق أهلى فى الظاهر ، وكان أبى يثق فيها لما يرى عليها من الأمانة والعفة ، وكان يكرمها و يزيد فى إكرامها ، وكان يعتقد أنها على دينه . فلما كبرت سلمنى أبى إليها ، وقال : « خذيه ور بيه وعلميه أحوال ديننا ، وأحسنى تربيتـه وقومى بخدمته » . فأخذتنى العجوز وعلمتنى دين الإسلام ، من الطهارة وفرائض الوضوء والصلاة ، وحفظتنى القرآن ، فلما أتممت ذلك قالت لى : « يا ولدى اكتم هذا الأمر عن أبيك ، ولا تعلمه به لئلا يقتلك » . فكتمته عنه ، ولم أزل على هذه الحال مدة أيام قلائل ، وقد ماتت العجوز ، وزاد أهل المدينة فى كفرهم وعتوهم وضلالهم ، فبينما هم على ما هم فيه ، إذ سمعوا مناديا ينادى بأعلى صوته مثل الرعد القاصف ، سمعه القريب والبعيد يقول : « يا أهل هذه المدينة ، ارجعوا عن عبادة النار ، واعبدوا الملك الجبار» . فحصل عند أهل المدينة فزع ، واجتمعوا عند أبى — وهو

ملك المدينة — وقالوا له : «ماهذا الصوت المزعج الذى سمعناه ، فاندهشنا من شدة قوله ؟» .

فقال لهم : « لا يهولنكم هذا الصوت ، ولا يفزعنكم ، ولا يردنكم عن دينكم » .

فمالت قلوبهم إلى قول أبى ، ولم يزالوا مكبين على عبادة النار . واستمروا على طغيانهم مدة سنة ، حتى جاء ميعاد ما سمعوا الصوت الأول ، فظهر لهم ثانيا ، فسمعوه ثلاث مرات على ثلاث سنين فى كل سنة مرة . فلم يزالوا عاكفين على ما هم عليه حتى نزل عليهم المقت والسخط من السماء بعد طلوع الفجر ، فمسخوا حجارة سودا ، وكذلك دوابهم وأنعامهم ، ولم يسلم من أهل هذه المدينة غيرى . ومن يوم جرت هذه الحادثة وأنا على هذه الحال فى صلاة وصيام وتلاوة قرآن ، وقد يئست من الوحدة ، وما عندى من يؤنسنى .

فعند ذلك قلت له : «أيها الشاب هل لك أن تروح معى إلى مدينة بغداد ، وتنظر إلى العلماء و إلى الفقهاء فتزداد علما وفقهاً ، وأكون أنا جاريتك ؟ مع أنى سيدة قومى ، وحاكمة على رجال وخدم وغلمان ، وعندى مركب مشحونة بالمتجر ، وقد رمتنا المقادير على هذه المدينة ، حتى كان ذلك سببا فى اطلاعنا على هذه الأمور ، وكان النصيب فى اجتماعنا .

ولم أزل أرغبه فى التوجه حتى أجابنى إليه .

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الـكلام المباح .

١٧

(فلما كانت الليلة السابعة عشرة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية ما زالت تحسن للشاب التوجه معها حتى غلب عليها النوم ، فنامت تلك الليلة تحت رجليه ، وهى لا تصدق بما هى فيه من الفرح . ثم قالت : فلما أصبح الصباح قمنا ودخلنا إلى الخزائن ، وأخذنا ما خف حمله وغلا ثمنه ، ونزلنا من القلعة إلى المدينة ، فقابلنا العبيد والريس وهم يفتشون على . فلما رأونى فرحوا بى وسألونى عن سبب غيابى ، فأخبرتهم بما رأيت ، وحكيت لهم قصة الشاب ، وسبب مسخ هذه المدينة ، وما جرى لهم ، فتعجبوا من ذلك ؛ فلما رأتنى أختاى ، ومعى ذلك الشاب حسدتانى عليه ، وصارتا فى غيظ ، وأضمرتا المكر لى . ثم نزلنا المركب وأنا بغاية الفرح ، وأكثر فرحى بصحبة هذا الشاب ، وأقمنا ننتظر الريح حتى طابت لنا فنشرنا القلوع وسافرنا ، فقعدت أختاى عندنا ، وصارتا تتحدثان فقالتا لى : « يا أختنا ماذا تصنعين بهـذا الشاب الحسن ؟ » فقلت لهما : « قصدى أن أتخذه بعلا » . ثم التفتُّ إليه وأقبلت عليه وقلت : « ياسيدى أنا أقصد أن أقول لك شيئا فلا تخالفنى فيه » . فقال : «سمعا وطاعة» . ثم التفتُّ إلى أختىّ وقلت لهما : « يكفينى هذا

الشاب ، وجميع هذه الأموال لكما » . فقالتا : « نِعْمَ مافعلت ! » ولكنهما أضمرتا لى الشر ، ولم نزل سائرين مع اعتدال الريح حتى خرجنا من بحر الخوف ودخلنا بحر الأمان ، وسافرنا أياما قلائل ، إلى أن قربنا من مدينة البصرة ، ولاحت لنا أبنيتها ، فأدركنا المساء . فلما أخذنا النوم قامت أختاى ، وحملتانى أنا والغلام بفرشنا ، ورمتانا فى البحر ؛ فأما الشاب فإنه كان لا يحسن العوم فغرق ، وكتبه الله من الشهداء ؛ وأما أنا فكتبت من السالمين ؛ فلما سقطت فى البحر رزقنى الله بقطعة خشب فركبتها ، وضربتنى الأمواج إلى أن رمتنى على ساحل جزيرة ، فلم أزل أمشى فى الجزيرة باقى ليلتى ؛ فلما أصبح الصباح رأيت طريقا فيه أثر مشى على قدر قدم ابن آدم ، وتلك الطريق متصلة من الجزيرة إلى البر ، وقد طلعت الشمس ، فنشفت ثيابى فيها ، وسرت فى الطريق ؛ ولم أزل سائرة إلى أن قربت من البر الذى فيه المدينة . وإذا أنا بحية تقصدنى ، وخلفها ثعبان يريد هلاكها ، وقد تدلى لسانها من شدة التعب ؛ فأخذتنى الشفقة عليها ، فعمدت إلى حجر وألقيته على رأس الثعبان فمات من وقته ، فنشرت الحية جناحين وطارت فى الجو ؛ فتعجبت من ذلك وقد تعبت ، فنمت فى موضعى ساعة ، فلما أفقت وجدت تحت رجلى جارية ، وهى تكبس رجلى ، فجلست واستحييت منها وقلت لها : « من أنت وما شأنك ؟ » فقالت : « ما أسرع مانسيتنى ، أنت التى



فعلت معى الجميل ، وقتلت عدوى ، فإنى الحية التى خلصتها من الثعبان ؛ فإنى جنية ، وهذا الثعبان جنى ، وهو عدوى ، وما نجانى منه إلا أنت.. فلما نجيتنى منـــه طرت فى الريح ، وذهبت إلى المركب التى رماك منها أختاك ، ونقلت جميع ما فيها إلى بيتك ، وأغرقتها ، وأما أختاك فإنى

سحرتهما كلبتين من الـكلاب السود ، فإني عرفت جميع ما جرى لك معهما ، وأما الشاب فإنه غرق » .

ثم حملتني أنا والـكلبتين وألقتنا فوق سطح داري ، فرأيت جميع ما كان في المركب من الأموال في وسط بيتي ولم يضع منه شيء ، ثم إن الحية قالت لي : « وحق النقش الذي على خاتم سليمان ، إذا لم تضربي كل منهما في كل يوم ثلثمائة سوط لآتين وأجعلنك مثلهما » . فقلت : « سمعا وطاعة » . فلم أزل يا أمير المؤمنين أضربهما ذلك الضرب ، وأشفق عليهما .

فتعجب الخليفة من ذلك ، ثم قال للصبية الثانية : « وأنت ما سبب الضرب الذي على جسدك ؟ » فقالت : « يا أمير المؤمنين إني كان لي والد فمات ، وخلف مالا كثيراً ، فأقمت بعده مدة يسيرة ، وتزوجت برجل أسعد أهل زمانه ، فأقمت معه سنة كاملة ومات ، فورثت منه ثمانين ألف دينار ، فبينما أنا في يوم من الأيام ، إذ دخلت عليّ عجوز بوجه مسخوط ، وحاجب ممعوط ، وعيونها مخضرة ، وأسنانها مكسرة ، ومخاطها سائل ، وعنقها مائل ، كما قال فيها الشاعر :

عجوز النحس إبليس يراها　　تعلمه الخديعة من سكوتِ
تقود من السياسة ألف بغل　　إذا نفروا بخيط العنكبوت

وكما قال الآخر :

وعجوز لها الـكهانة طبع　　حللت في الحرام ما لا يجوز

فلما دخلت العجوز سلمت على وقالت: « عندى بنت يتيمة، والليلة عملت عرسها ، وأنا قصدى لك الأجر والثواب ، فاحضرى عرسها فإنها مكسورة الخاطر ، ليس لها إلا الله تعالى ». ثم بكت وقبلت رجلى ، فأخذتنى الرحمة والرأفة فقلت : « سمعا وطاعة » . فقالت : « جهزى نفسك فإنى وقت العشاء أجىء وآخذك » . ثم قبلت يدى وذهبت ؛ فقمت وهيأت نفسى وجهزت حالى ، وإذا بالعجوز قد أقبلت وقالت : « ياسيدتى إن سيدات البلد قد حضرن وأخبرتهن بحضورك ففرحن ، وهن فى انتظارك » . فقمت وتهيأت وأخذت جوارى معى ، وسرت حتى أتينا إلى زقاق هب فيه النسيم وراق ، فرأينا بوابة مقنطرة ، بقبة من الرخام ، مشيدة البنيان ، وفى داخلها قصر قد قام من التراب ، وتعلق بالسحاب ، فلما وصلنا إلى الباب طرقته العجوز ، ففتح لنا ودخلنا فوجدنا دهليزاً مفروشا بالبسط ، معلقا فيه قناديل موقدة ، وشموع مضيئة ، وفيه الجواهر والمعادن معلقة ؛ فمشينا فى الدهليز إلى أن دخلنا قاعة لا يوجد لها نظير ، مفروشة بالفراش الحرير ، معلقا فيها القناديل الموقدة ، والشموع المضيئة ، وفى صدر القاعة سرير من المرمر ، مرصع بالدر والجوهر ، وعليه (ناموسية) من الأطلس ، وإذا بصبية خرجت من الناموسية مثل القمر ، فقالت : «مرحبا وأهلا وسهلا ياأختى ، آنستنى وجبرت خاطرى ، وأنشدت تقول :

لو تعلم الدار من قد زارها فرحت ... واستبشرت ثم باست موضع القدم
وأعلنت بلسان الحال قائلة ... أهلا وسهلا بأهل الجود والكرم

ثم جلست وقالت : ياأختى إن أخا لى قد رآك فى بعض الأفراح ، وهو شاب أحسن منى ، وقد أحبك قلبه حبا شديداً ، وأعطى هذه العجوز دراهم حتى أتتك ، وعملت الحيلة لأجل اجتماعه بك ، ويريد أن يتزوجك على كتاب الله وسنة رسوله ، وما فى الحلال من عيب .

فلما سمعت كلامها ورأيت نفسى قد حجزت فى الدار ، قلت للصبية : سمعا وطاعة .

ففرحت وصفقت بيديها وفتحت باباً فخرج منه شاب مثل القمر ، كما قال الشاعر :

قد زاد حسنا تبارك اللهُ ... جلّ الذى صاغه وسوَّاهُ
قد حاز كل الجمال منفردا ... كل الورى فى جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته ... أشهد أن لا مليح إلاّ هُو

فلما نظرت إليه مال قلبى له ، ثم جاء وجلس ، وإذا بالقاضى قد دخل ومعه أربعة شهود ، فسلموا وجلسوا ؛ ثم إنهم كتبوا كتابى على ذلك الشاب وانصرفوا ، فالتفت الشاب إلى وقال : «ليلتنا مباركة» . ثم قال : «ياسيدتى إنى أشترط عليك شرطا» . فقلت : «يا سيدى وما الشرط ؟» فقام وأحضر مصحفا وقال : «احلفى لى أنك لا تختارين أحداً غيرى ، ولا تميلين إليه» . فحلفت له على ذلك ، ففرح فرحا شديداً وعانقنى ، فأخذت محبته بمجامع قلبى ، وقدموا لنا السماط فأكلنا وشربنا حتى

اكتفينا ، فدخل علينا الليل ، فأخذنى ونام معى على الفراش ، و بتنا فى عناق إلى الصباح . ولم نزل على هذه الحال مدة شهر ، ونحن فى هناءة وسرور . و بعد الشهر استأذنته فى أنى أسير إلى السوق وأشترى بعض قماش ، فأذن لى فى الرواح . فلبست ثيابى وأخذت العجوز معى ، ونزلت فى السوق ، فجلست على دكان شاب تاجر تعرفه العجوز وقالت : « هذا ولد صغير مات أبوه وخلف له مالا كثيراً » . ثم قالت له : « هات أعز ما عندك من القماش لهذه الصبية » . فقال : « سمعا وطاعة » . فصارت العجوز تثنى عليه ، فقلت : « ما لنا حاجه بثنائك عليه ، لأن مرادنا أن نأخذ حاجتنا منه ونعود إلى منزلنا » . فأخرج لنا ما طلبناه وأعطيناه الدراهم ، فأبى أن يأخذ شيئا وقال : « هذه ضيافتكم اليوم عندى » . فقلت للعجوز : « إن لم يأخذ الدراهم أعطيه قماشه » . فقال : « والله لا آخذ شيئاً ، والجميع هدية من عندى فى قبلة واحدة ، فإنها عندى أحسن مما فى دكانى » . فقالت : « ما الذى يفيدك من قبلة ؟ » . ثم قالت : « يابنيتى قد سمعت ما قال هذا الشاب ، ما يصيبك شىء إذا أخذ منك قبلة وتأخذين ما تطلبينه » . فقلت لها : « أما تعرفين أنى حالفة ؟ » فقالت : « دعيه يقبلك وأنت ساكتة ، ولا عليك شىء وتأخذين هذه الدراهم » . ولا زالت تحسن لى الأمر ، حتى أدخلت رأسى فى الجراب ورضيت بذلك ، ثم إنى غطيت عينى



وتواريت بطرف إزارلي من الناس ، وحطّ فمه تحت إزاري على خدى ؛
فلما قبلني عضني عضة قوية حتى قطع اللحم من خـدى، فغشى على ،
ثم أخذتني العجوز فى حضنها . فلما أفقت وجدت الدكان مقفلة
والعجوز تظهر لى الحزن ، وتقول : « ما دفع الله كان أعظم » . ثم قالت

لى : « قومى بنا إلى البيت وأظهرى أنك ضعيفة ، وأنا أجيء إليك بدواء تداوين به هذه العضة فتبرئين سريعاً » . فبعد ساعة قمت من مكانى ، وأنا فى غاية الفكر واشتداد الخوف ، فمشيت حتى وصلت إلى البيت ، وأظهرت حالة المرض ، وإذا بزوجى داخل وقال : « ما الذى أصابك يا سيدتى فى هذا الخروج ؟ » . فقلت له : « هأنذا طيبة » . فنظر إلى وقال لى : « ما هذا الجرح الذى بخدك وهو فى المكان الناعم ؟ » . فقلت : « لما استأذنتك وخرجت فى هذا النهار لأشترى القماش ، زاحمنى جمل يحمل حطبا فمزق نقابى ، وجرح خدى كما ترى ، فإن الطريق ضيق فى هذه المدينة » . فقال : « غدا أروح للحاكم وأشكو له فيشنق كل حطاب فى المدينة » . فقلت : « بالله عليك لاتتحمل خطيئة أحد ، فإنى ركبت حمارا نفر بى فوقعت على الأرض ، فصادفنى عود فخدش خدى وجرحنى » . فقال : « غداً أطلع لجعفر البرمكى وأحكى له الحكاية ، فيقتل كل حمار فى هذه المدينة » . فقلت : « هل أنت تقتل الناس كلهم بسببى ؟ وهذا الذى جرى لى بقضاء الله وقدره ؟ » . فقال : « لابد من ذلك » . وشدد علىّ ونهض قائما ، وصاح صيحة عظيمة ، فانفتح الباب وطلع منه سبعة عبيد سود ، فسحبونى من فرشى ورمونى فى وسط الدار ، ثم أمر عبداً منهم أن يمسكنى من أكتافى ، ويجلس على رأسى ، وأمر الثانى أن يجلس على ركبتى ، ويمسك رجلى ، وجاء الثالث وفى يده سيف ، فقال :

« يا سيدى أأضربها بالسيف فأقسمها نصفين ، وكل واحد يأخذ قطعة يرميها فى نهر الدجلة فيأكلها السمك ؟ وهذا جزاء من يخون الأيمان والمودة » . فأنشد هذا الشعر :

إذا كان لى فيمن أحب مشارك　　منعت الهوى روحى ليتلفنى وجْدى

وقلت لها يا نفس موتى كريهة　　فلا خير فى حب يكون مع الضد

ثم قال للعبد : « اضربها يا سعد » . فجرد السيف وقال لى : « اذكرى الشهادة ، وتذكرى ما كان لك من الحوائج وأوصى ، فإن هذا آخر حياتك » . فقلت : « يا عبد الخير تمهل علىّ قليلا حتى أتشهد وأوصى » . ثم رفعت رأسى ونظرت إلى حالى وكيف صرت فى الذل بعد العز ، فجرت عبرتى ، وبكيت وأنشدت هذه الأبيات :

أقمتم فؤادى فى الهوى وقعدتمُ　　وأسهرتمو جفنى القريح ونمتمُ

ومنزلكم بين الفؤاد وناظرى　　فلا القلب يسلوكم ولا الدمع يُكتَمُ

وعاهدتمونى أن تقيموا على الوفا　　فلما تملكتم فؤادى غدرتمُ

ولم ترحموا وجدى بكمْ وتلهفى　　أأنتم صروفَ الحادثاتِ أمنتمُ ؟

سألتكمو بالله إن متّ فاكتبوا　　على لوح قبرى إنّ هذا مُتيّمُ

لعل شجيًّا عارفاً لوعةَ الهوى　　يمرّ على قبر المحبّ فيرحَمُ

فلما فرغت من شعرى بكيت ، فلما سمع الشعر ونظر إلى بكائى ، ازداد غيظا على غيظه وأنشد هذين البيتين :

تركتُ حبيب القلب لا عن ملالة ولكن جنى ذنباً يؤدى إلى الترْكِ
أزاد شريكا فى المحبة بيننا وإيمان قلبى لا يميل إلى الشرْكِ

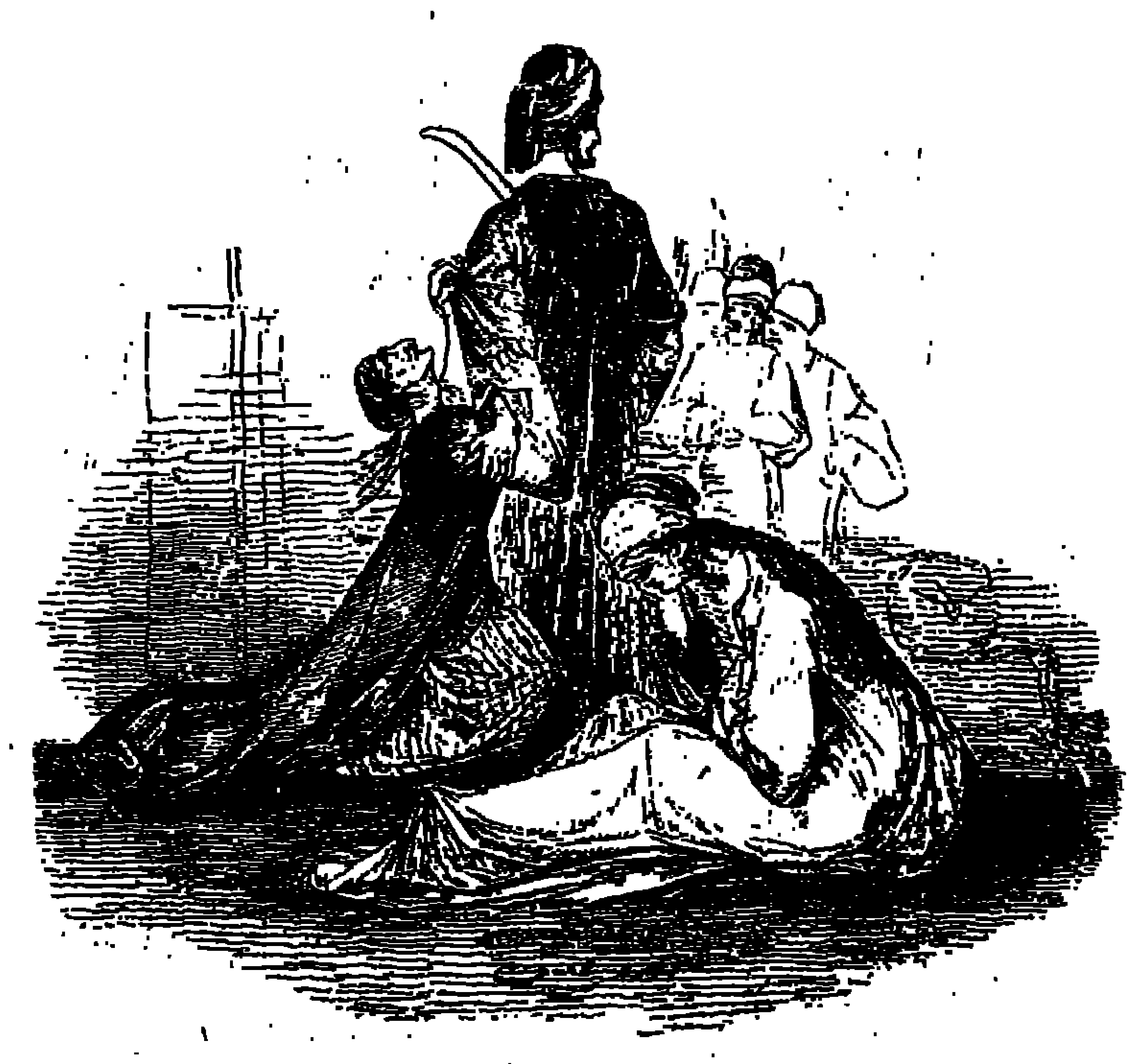
فلما فرغ من شعره بكيت واستعطفته ، وقلت فى نفسى : « أتواضع له وألين له فى الكلام لعله يعفو عنى من القتل ، ولو كان يأخذ جميع ما أملك » . ثم شكوت إليه ما وجدته ، وأنشدت هذه الأبيات :

وحقك لو أنصفتنى ما قتلتنى ولكن حكم البين ما فيه منصفُ
وحملتنى ثقل الغرام وإننى لأعجز عن حمل القميص وأضعف
وما عجب إتلاف روحى وإنما عجبت لجسمى بعدكم كيف يُعرَف

فلما فرغت من شعرى بكيت ، فنظرنى ونهرنى وشتمنى ، وأنشد هذه الأبيات :

تشاغلتمُ عنّا بصحبة غيرنا وأظهرتم الهجران ما هكذا كُنّا
سنترككم لمّا تركتم غرامنا ونصبر عنكم مثل صبركمُ عنّا
ونهوى سواكم مذ جنحتم لغيرنا ونجعل قطع الوصل منكم ولا منّا

فلما فرغ من شعره صرخ على العبد وقال له : « اشطرها نصفين فليس لنا بها فائدة » . فلما تقدم العبد إلىّ أيقنت بالموت ، ويئست من الحياة ، وسلمت أمرى لله تعالى ، وإذا بالعجوز قد دخلت ورمت نفسها على أقدام الشاب وقبلتها وقالت : « يا ولدى بحق تربيتى لك تعفو عن هذه الصبية ، فإنها ما فعلت ذنبا يوجب ذلك ، وأنت شاب صغير ، فأخاف عليك من دعائها » . ثم بكت العجوز ولم تزل تلح عليه حتى



قال : « عفوت عنها ولكن لابد لى أن أعمل فيها أثراً يظهر عليها بقية عمرها » . ثم أمر العبيد فجردونى من ثيابى ، وأحضر قضيبا من سفرجل ونزل به على جسدى ضربا ، ولم يزل يضربنى ذلك الشاب على ظهرى حتى غبت عن الدنيا من شدة الضرب ، وقد يئست من حياتى : ثم أمر العبيد أنه إذا دخل الليل يحملوننى ، ويأخذون العجوز معهم ويرموننى فى بيتى الذى كنت فيه سابقا ، ففعلوا ما أمرهم به سيدهم ورمونى فى بيتى ، فتعهدت نفسى وتداويت ، فلما شفيت بقيت أضلاعى كأنها مضروبة بالمقارع كما ترى ، فاستمررت فى مداواة نفسى أربعة أشهر حتى شفيت ،

ثم جئت إلى الدار التى جرى فيها ذلك الأمر فوجدتها خربة ، ووجدت الزقاق مهدوماً من أوله إلى آخره ، ووجدت فى موضع الدار كيانا ولم أعلم سبب ذلك ؛ فجئت إلى أختى هذه فوجدت عندها الكلبتين ، فسلمت عليها وأخبرتها بخبرى ، وبجميع ماجرى لى ، فقالت : « من ذا الذى من نكبات الزمان سلم ؟ الحمد لله الذى جعل الأمر بسلامة » . ثم أخبرتنى بخبرها وبجميع ما جرى لها من أختيها ، وقعدت أنا وهى لا نذكر خبر الزواج على ألسنتنا ؛ ثم إن صاحبتنا هذه الصبية الدلالة فى كل يوم تخرج فتشترى لنا ما نحتاج إليه من المصالح على جرى عادتها ، فوقع لنا ما وقع من مجىء الحمال ومن مجيئكم فى صفة تجار ، فلما صرنا فى هذا اليوم لم نشعر إلا ونحن بين يديك ، وهذه حكايتنا ؛ فتعجب الخليفة من هذه الحكاية وجعلها تاريخا مثبتا فى خزانته .

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

١٨

(فلما كانت الليلة الثامنة عشرة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة أمر أن تكتب هذه القصة فى الدواوين ، ويجعلوها فى خزانة الملك ؛ ثم إنه قال للصبية الأولى : « هل عندك خبر بالعفريتة التى سحرت أختيك ؟ » قالت : « يا أمير المؤمنين إنها أعطتنى شيئا من شعرها وقالت : إن أردت حضورى فأحرق من هذا الشعر شيئاً فأحضر إليك عاجلا » .

ولو كنت خلف جبل قاف » . فقال الخليفة : « أحضرى لى الشعر » . فأحضرته الصبية ، فأخذه الخليفة وأحرق منه شيئا ، فلما فاحت رائحته اهتز القصر وسمعوا دويا وصلصلة ، وإذا بالجنية قد حضرت وكانت مسلمة ، فقالت : « السلام عليك يا خليفة الله » . فقال : « وعليك السلام ورحمة الله وبركاته » . فقالت : « اعلم أن هذه الصبية صنعت معى جميلا ولا أقدر أن أكافئها عليه ، فهى أنقذتنى من الموت وقتلت عدوى ، ورأيت ما فعلته معها أختاها ، فما رأيت إلا أنى أنتقم منهما ، فسحرتهما كلبتين بعد أن أردت قتلهما ، فخشيت أن يصعب عليها . وإن أردت خلاصهما يا أمير المؤمنين أخلصهما كرامة لك ولها ، فإنى من المسلمين » . فقال لها : « خلصيهما وبعد ذلك نشرع فى أمر الصبية المضروبة ونفحص حالها ، فإذا ظهر لى صدقها أخذت ثأرها ممن ظلمها » . فقالت العفريتة : « يا أمير المؤمنين أنا أدلك على من فعل بهذه الصبية هذا الفعل ، وظلمها وأخذ مالها ، وهو أقرب الناس إليك » .

ثم إن العفريتة أخذت طاسة من ماء وعزمت عليها ورشت وجه الكلبتين وقالت لهما : « عودا إلى صورتكما الأولى البشرية » . فعادتا صبيتين سبحان خالقهما ؛ ثم قالت : « يا أمير المؤمنين إن الذى ضرب الصبية ولدك الأمين ، فإنه كان يسمع بحسنها وجمالها » . وحكت له العفريتة جميع ما جرى للصبية ، فتعجب وقال : « الحمد لله على خلاص هاتين الكلبتين على يدى » .

ثم إن الخليفة أحضر ولده الأمين بين يديه ، وسأله عن قصة الصبية الأولى ، فأخبره على وجه الحق ، فأحضر الخليفة القضاة والشهود والصعاليك الثلاثة ، وأحضر الصبية الأولى وأختيها اللتين كانتا مسحورتين فى صورة كلبتين ، وزوج الثلاث للثلاثة الصعاليك الذين أخبروه أنهم كانوا ملوكا ، وجعلهم حجابا عنده ، وأعطاهم مايحتاجون إليه ، وأنزلهم فى قصر ببغداد ؛ ورد الصبية المضروبة لولده الأمين ، وأعطاها مالا كثيراً ، وأمر بأن تبنى الدار أحسن مما كانت . ثم إن الخليفة تزوج الدلالة ودخل فى تلك الليلة بها ؛ فلما أصبح أفرد لها بيتاً وجوارى يخدمنها ، ورتب لها راتبا وشيّد لها قصراً .

* * *

ثم قال لجعفر ليلة من الليالى : إنى أريد أن ننزل فى هذه الليلة إلى المدينة ونسأل عن أحوال الحكام والمتولّين ، وكل من شكا منه أحد عزلناه .

فقال جعفر : سمعا وطاعة .

فلما نزل الخليفة وجعفر ومسرور ، وساروا فى المدينة ، ومشوا فى الأسواق ، مروا بزقاق فرأوا شيخاً كبيراً على رأسه شبكة وقُفّة ، وفى يده عصا ، وهو ماش على مهله وينشد هذه الأبيات :

يقولون لى أنت بين الورى بعلمك كالليلة المقمره

فقلت دعونىَ من قولكم فلا علم إلا مع المقدره

فلو رهنونی وعلمی معی ... وكل الدفاتر والمحبره
علی قوت يوم لما أدركوا ... قبول الرهان إلى الآخره
فأما الفقير وحال الفقير ... وعيش الفقير فما أكدره
وفی الصيف يعجز عن قوته ... وفی البرد يدفا علی المجمره
تليه الكلاب إذا ما مشی ... ذليلا مهانا فما أحقره
إذا ما شكا حاله لامریء ... وبيّن عذرًا فلن يعذره
إذا كان هذا حياة الفقير ... فأصلح ما كان فی المقبره

فلما سمع الخليفة إنشاده قال لجعفر : انظر هذا الرجل الفقير وانظر هذا الشعر فإنه يدل على احتياجه .

ثم إن الخليفة تقدم إليه وقال له : يا شيخ ما حرفتك ؟

قال : ياسيدی ، صياد وعندی عائلة ، وخرجت من بيتی من نصف النهار إلى هذا الوقت ، ولم يقسم الله لی شيئا أقوت به عيالی ، وقد كرهت نفسی وتمنيت الموت .

فقال له الخليفة : هل لك أن ترجع معنا إلى البحر ، وتقف على شاطیء الدجلة ، وترمی شبكتك على بختی ، وكل ما طلع أشتريه منك بمائة دينار ؟

ففرح الرجل لما سمع هذا الكلام ، وقال : على رأسی أرجع معكم .

ثم إن الصياد رجع إلى البحر ، ورمی شبكته وصبر عليها ، ثم إنه جذب الخيط وجر الشبكة فطلع فی الشبكة صندوق مقفل ثقيل الوزن ؛

فلما نظره الخليفة اختبره فوجده ثقيلا ، فأعطى الصياد مائة دينار وانصرف ؛ وحمل الصندوقَ مسرورٌ هو وجعفر وطلعا به مع الخليفة إلى القصر ، وأوقدوا الشموع ، والصندوق بين يدى الخليفة ؛ فتقدم جعفر ومسرور وكسرا الصندوق ، فوجدوا فيه قفة من خوص مخيطة بصوف أحمر ؛ فقطعوا الخياطة فرأوا فيها قطعة بساط ، فرفعوها فوجدوا تحتها إزارا ؛ فرفعوا الإزار فوجدوا تحته صبية مقتولة ومقطوعة . فلما نظرها الخليفة جرت دموعه على خده ، والتفت إلى جعفر وقال : يا كلب الوزراء ، أيقتل القتلى فى زمنى ، و يرمون فى البحر و يصيرون متعلقين بذمتى ؟ والله لابد أن أقتص لهذه الصبية ممن قتلها وأقتله ، وحق اتصال نسبى بالخلفاء من بنى العباس ، إن لم تأتنى بالذى قتل هذه لأنصفها منه ، لأصلبنك على باب قصرى أنت وأربعين من بنى عمك .

واغتاظ الخليفة ، فقال جعفر : أمهلنى ثلاثة أيام .

قال : أمهلتك .

ثم خرج جعفر من بين يديه ومشى فى المدينة وهو حزين ، وقال فى نفسه : من أين أعرف من قتل هذه الصبية ، حتى أحضره للخليفة ؟ و إن أحضرت له غيره يصير معلقا بذمتى ، ولا أدرى ماذا أصنع .

ثم إن جعفراً جلس فى بيته ثلاثة أيام ، وفى اليوم الرابع أرسل إليه الخليفة يطلبه ، فلما مثل بين يديه قال : أين قاتل الصبية ؟

قال جعفر : يا أمير المؤمنين هل أنا أعلم الغيب ، حتى أعرف قاتلها ؟

فاغتاظ الخليفة ، وأمر بصلبه على باب قصره ، وأمر مناديا ينادى فى شوارع بغداد : من أراد الفرجة على صلب جعفر البرمكى وزير الخليفة ، وصلب أولاد عمه على باب قصر الخليفة ، فليخرج ليتفرج .

فخرجت الناس من جميع الحارات ليتفرجوا على صلب جعفر ، وصلب أولاد عمه ، ولم يعلموا سبب ذلك ، ثم أمر بنصب الخشب فنصبوه ، وأوقفوهم تحته لأجل الصلب ، وصاروا ينتظرون الإذن من الخليفة ، وصار الخلق يتباكون على جعفر وأولاد عمه . فبينما هم كذلك ، إذا بشاب حسن نقى الأثواب ، يمشى بين الناس مسرعا ، إلى أن وقف بين يدى الوزير ، وقال : سلامتك من هذه الوقفة ياسيد الوزراء وكهف الفقراء ، أنا الذى قتلت القتيلة التى وجدتموها فى الصندوق ، فاقتلنى بها واقتص لها منى .

فلما سمع جعفر كلام الشاب وما أبداه من الخطاب ، فرح بخلاص نفسه ، وحزن على الشاب ؛ فبينما هما فى الكلام ، إذا بشيخ كبير يفسح الناس ، ويمشى بسرعة ، إلى أن وصل إلى جعفر والشاب ، فسلم عليهما ثم قال : أيها الوزير ، لا تصدق كلام هذا الشاب ، ما قتل هذه الصبية إلا أنا ، فاقتص لها منى .

فقال الشاب : أيها الوزير إن هذا شيخ كبير خَرِفٌ لا يدرى ما يقول ، وأنا الذى قتلتها فاقتص لها منى .

فقال الشيخ : ياولدى أنت صغير تشتهى الدنيا ، وأنا كبير شبعت

من الدنيا ، وأنا أفديك وأفدى الوزير و بنى عمه ، وما قتل الصبية إلا أنا ، فبالله عليك تعجل بالاقتصاص منى .

فلما نظر إلى ذلك الأمر تعجب منه ، وأخذ الشاب والشيخ وطلع بهما عند الخليفة وقال : يا أمير المؤمنين ، قد حضر قاتل الصبية .

فقال الخليفة : أين هو ؟

فقال : إن هذا الشاب يقول : أنا القاتل . وهذا الشيخ يكذبه ويقول : لا بل أنا القاتل .

فنظر الخليفة إلى الشيخ والشاب وقال : من منكما قتل هذه الصبية ؟

فقال الشاب : ما قتلها إلا أنا .

وقال الشيخ : ما قتلها إلا أنا .

فقال الخليفة لجعفر : خذ الاثنين واصلبهما .

فقال جعفر : إذا كان القاتل واحداً فقتل الثانى ظلم .

فقال الشاب : وحق من رفع السماء و بسط الأرض إنى أنا الذى قتلت الصبية ، وهذه أمارة قتلها .

ووصف ما وجده الخليفة ، فتحقق عند الخليفة أن الشاب هو الذى قتل الصبية ، فتعجب الخليفة وقال : ماسبب قتلك هذه الصبية بغير حق ؟ وما سبب إقرارك بالقتل من غير ضرب ، وقولك : اقتصوا لها منى ؟

فقال الشاب : اعلم يا أمير المؤمنين أن هذه الصبية زوجتى و بنت عمى ، وهذا الشيخ أبوها وهو عمى ، وتزوجت بها وهى بكر ، فرزقنى الله منها

ثلاثة أولاد ذكور ، وكانت تحبنى وتخدمنى ، ولم أر عليها شيئا . فلما كان أول هذا الشهر مرضت مرضاً شديدا ، فأحضرت لها الأطباء حتى حصلت لها العافية،فأردت أن أدخلها الحمام فقالت : «إنى أريد شيئاً قبل دخول الحمام لأنى أشتهيه» . فقلت لها : «وما هو ؟» فقالت: « إنى أشتهى



تفاحة أشمها وأعض منها عضة » . فطلعت من ساعتى إلى المدينة ، وفتشت على التفاح ، ولو كانت الواحدة بدينار ، فلم أجده ؛ فبت تلك الليلة وأنا متفكر ، فلما أصبح الصباح خرجت من بيتى ودرت على البساتين واحداً واحداً فلم أجده فيها ؛ فصادفنى خولى كبير ، فسألته عن التفاح فقال : « يا ولدى هذا شىء قلّ أن يوجد ، لأنه معدوم لايوجد إلا فى بستان أمير المؤمنين الذى فى البصرة ، وهو عند الخولى يدخره للخليفة » . فجئت إلى زوجتى ، وقد حملتنى محبتى إياها على أن هيأت نفسى ، وسافرت خمسة عشر يوما ليـلا ونهاراً فى الذهاب والإياب ، وجئت لها بثلاث تفاحات اشتريتها من خولى البصرة بثلاثة دنانير ؛ ثم إنى دخلت وناولتها إياها فلم تفرح بها بل تركتها جانباً ، وكان مرض الحمى قد اشتد بها ، ولم تزل فى ضعفها إلى أن مضى لها عشرة أيام ؛ و بعد ذلك عوفيت ، فخرجتُ من البيت وذهبت إلى دكانى ، وجلست فى بيعى وشرائى ، فبينما أنا جالس فى وسط النهار ، و إذا بعبد أسود مرّ علىّ ، وفى يده تفاحة يلعب بها ، فقلت له : « من أين أخذت هذه التفاحة حتى آخذ مثلها ؟ » فضحك وقال : « أخذتها من حبيبتى ، وأنا كنت غائبا وجئت فوجدتها ضعيفة ، وعندها ثلاث تفاحات ، فقالت : إن زوجى الديُّوث سافر من أجلها إلى البصرة فاشتراها بثلاثة دنانير . فأخذت منها هذه التفاحة » .

فلما سمعت كلام العبد — يا أمير المؤمنين — اسودت الدنيا فى

وجهى ، وأقفلت دكانى وجئت إلى البيت ، وأنا فاقد العقل من شدة الغيظ ، فلم أجد التفاحة الثالثة ، فقلت لها : « أين الثالثة ؟ » فقالت : « لا أدرى ولا أعرف أين ذهبت » . فتحققت من قول العبد ، وقمت وأخذت سكينا ، وركبت على صدرها ونحرتها بالسكين ، وقطعت رأسها وأعضاءها ، ووضعتها فى القفة بسرعة ، وغطيتها بالإزار ، ووضعت عليها شقة بساط ، وأنزلتها فى الصندوق وأقفلته ، وحملتها على بغلتى ورميتها فى الدجلة بيدى . فأقسم بالله عليك يا أمير المؤمنين أن تعجل بقتلى قصاصا لها ، فإنى خائف من مطالبتها يوم القيامة ، فإنى لما رميتها فى بحر الدجلة ، ولم يعلم بها أحد ، رجعت إلى البيت ، فوجدت ولدى الكبير يبكى ، ولم يكن له علم بما فعلت فى أمه ، فقلت له : « ما يبكيك ؟ » فقال : « إنى أخذت تفاحة من التفاح الذى عند أمى ، ونزلت بها إلى الزقاق ألعب مع إخوانى ، وإذا بعبد أسود طويل خطفها منى وقال لى : من أين جاءتك هذه ؟ فقلت له : هذه سافر أبى وجاء بها من البصرة من أجل أمى وهى ضعيفة ، واشترى ثلاث تفاحات بثلاثة دنانير » . فأخذها منى وضربنى وراح بها ، فخفت من أمى أن تضربنى من شأن التفاحة .

فلما سمعت كلام الولد ، علمت أن العبد هو الذى افترى الكلام الكذب على بنت عمى ، وتحققت أنها قتلت ظلما ، ثم إنى بكيت بكاء شديدا ، وإذا بهذا الشيخ ، وهو عمى والدها ، قد أقبل ، فأخبرته

بما كان ، فجلس بجانبي و بكى ، ولم نزل نبكى إلى نصف الليل ، وأقمنا العزاء خمسة أيام ، ولم نزل إلى هذا اليوم ونحن نتأسف على قتلها . فبحرمة أجدادك عجِّل بقتلى ، واقتصَّ لها منى .

فلما سمع الخليفة كلام الشاب تعجب وقال : والله لا أقتل إلا العبد الخبيث .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

١٩

(فلما كانت الليلة التاسعة عشرة) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة أقسم أنه لا يقتل إلا العبد ، لأن الشاب معذور ؛ ثم إن الخليفة التفت إلى جعفر وقال له : أحضر لى هذا العبد الخبيث الذى كان سبباً فى هذه القضية ، وإن لم تحضره فأنت تقتل عوضا عنه .

فنزل يبكى و يقول : من أين أحضره ، وما كل مرة تسلم الجرة ، وليس لى فى هذا الأمر حيلة ، والذى سلمنى فى الأول يسلمنى فى الثانى ، والله ما بقيت أخرج من بيتى ثلاثة أيام ، والحق سبحانه يفعل مايشاء .

ثم أقام فى بيته ثلاثة أيام ، وفى اليوم الرابع أحضر القاضى وأوصى وودع أولاده وبكى ، وإذا برسول الخليفة أتى إليه وقال له : إن أمير المؤمنين فى أشد ما يكون من الغضب ، وأرسلنى إليك وحلف أنه لايمر هذا النهار إلا وأنت مقتول ، إن لم تحضر له العبد .

فلما سمع جعفر هذا الكلام بكى و بكى أولاده ، فلما فرغ من التوديع تقدم إلى بنته الصغيرة ليودعها ، وكان يحبها أكثر من أولاده جميعا ، فضمها إلى صدره ، و بكى على فراقها ، فوجد فى جيبها شيئاً مكببا ، فقال لها : « ما الذى فى جيبك ؟ » فقالت له : « هى تفاحة



جاء بها عبدنا ريحان ، ولها معى أربعة أيام ، وما أعطاها لى حتى أخذ منى دينارين » .

فلما سمع جعفر بذكر العبد والتفاحة فرح وقال : يا قريب الفرج .

ثم إنه أمر بإحضار العبد ، فحضر ، فقال له : من أين هذه التفاحة ؟

فقال : ياسيدى ، من مدة خمسة أيام كنت ماشياً ، فدخلت فى بعض أزقة المدينة ، فنظرت صغاراً يلعبون ، ومع واحد منهم هذه التفاحة فخطفتها منه وضربته ، فبكى وقال : « هذه لأمى وهى مريضة ، واشتهت على أبى تفاحاً ، فسافر إلى البصرة وجاء لها بثلاث تفاحات بثلاثة دنانير ، فأخذت هذه ألعب بها » ثم بكى ، فلم ألتفت إليه وأخذتها وجئت بها إلى هنا ، فأخذتها سيدتى الصغيرة بدينارين .

فلما سمع جعفر هذه القصة تعجب لكون الفتنة وقتل الصبية من عبده ، وأمر بسجن العبد ، وفرح بخلاص نفسه ثم أنشد هذين البيتين :

ومن كانت رزيته بعبد

فما للنفس تجعله فداها

فإنك واجد خدماً كثيراً

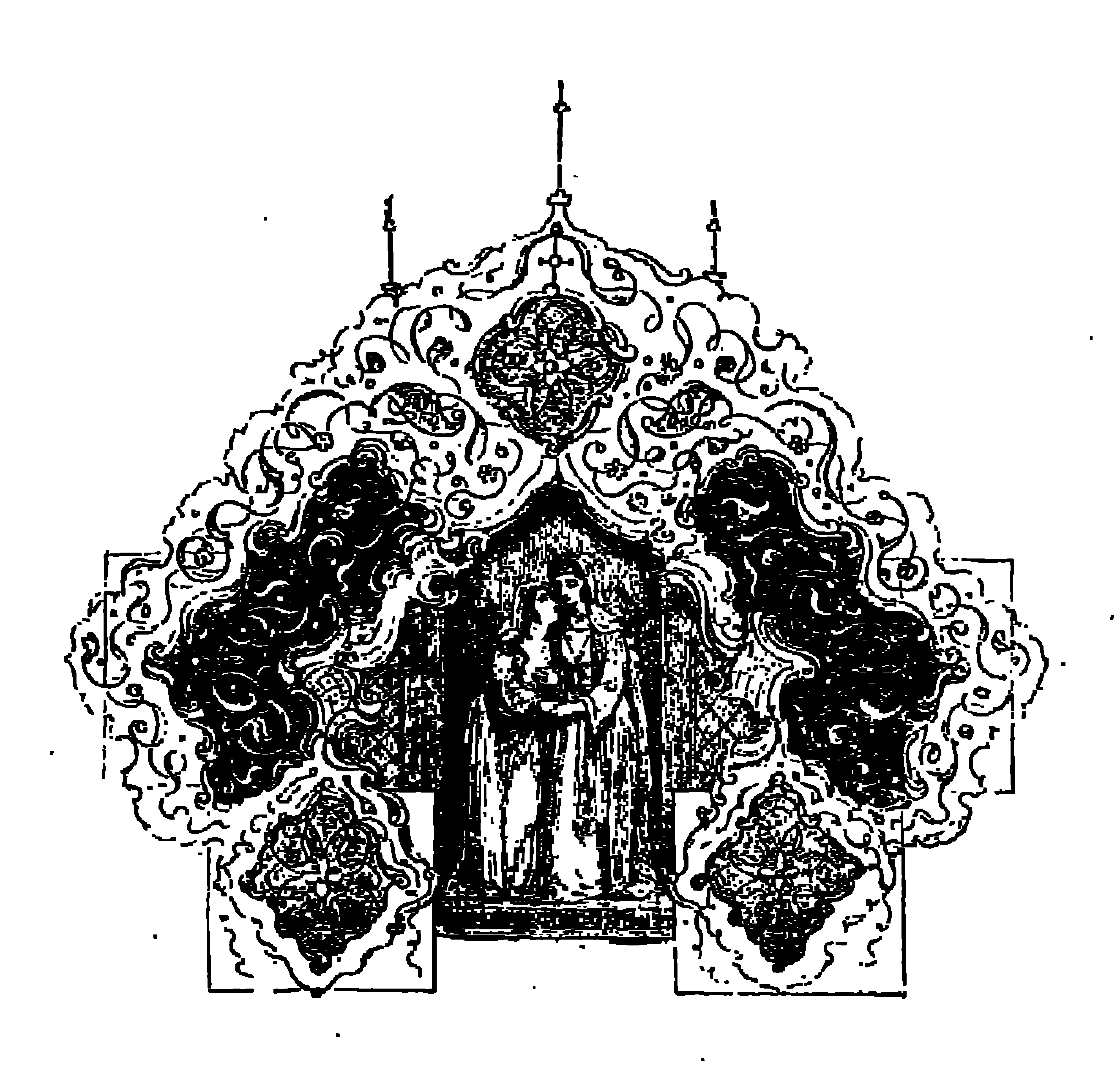
ونفسك لم تجد نفسا سواها

ثم إنه قبض على العبد وطلع به إلى الخليفة ، فأمر أن تؤرخ هذه الحكاية ، وتجعل سيرا بين الناس ، فقال له جعفر :

لا تعجب يا أمير المؤمنين من هذه القصة ، فما هى بأعجب من حديث

الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه

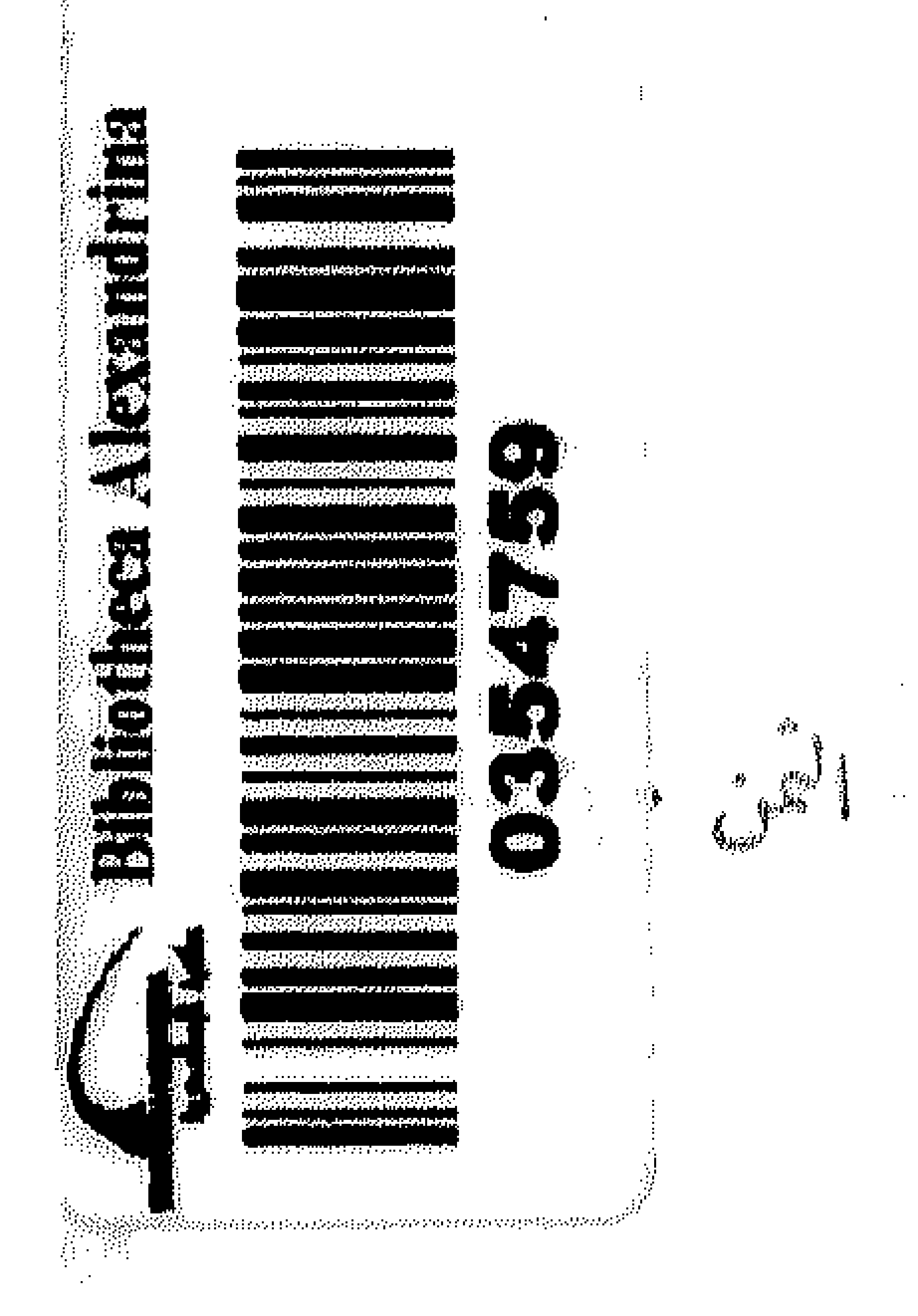
فقال الخليفة : وأى حكاية أعجب من هذه الحكاية ؟ فقال جعفر : يا أمير المؤمنين لا أحدثك إلا بشرط أن تعتق عبدى من القتل ، فقال : قد وهبت لك دمه .



القصة التالية

نور الدين وشمس الدين


دار مصر للطباعة


Bibliotheca Alexandrina
03554759
الثمن